أخبار اليوم

مكتبة الشعراوى الإسلامية

الحلال والحرام



محمد متولى الشعراوى



الحلال والحرام


مؤسسة
أخبار اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.
نسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي ستصدر بعد ملتقياتي خطوة على
طريق الهدى ونوراً يضيء الطريق للإيمان
والله نسأل الهداية والتوفيق

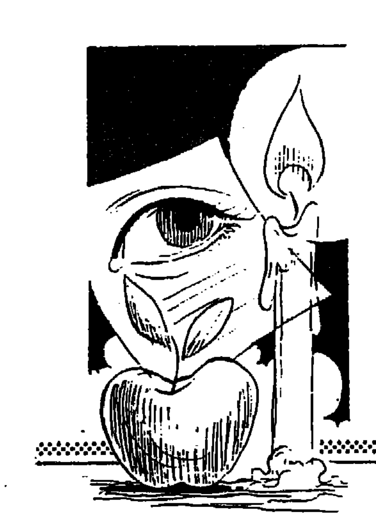
محمد متولي الشعراوي

الغلاف بريشة
الفنان : سيد عبدالفتاح

الإخـراج الفني
عبد الكريم محمود



الفصل الأول



ما هو الحلال ..
وما هو الحرام

قضية الحلال والحرام هى أقدم القضايا
مع الإنسان . . لقد بدأت معه قبل أن ينزل
إلى الأرض . . بل هى بدأت معه كأول
درس تلقاه من ربه . فهذه القضية يقوم
عليها الكون كله . . ويقوم عليها ميزان
الحياة . .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان كى يؤدى مهمته كخليفة فى الكون . . والله الخالق يعلم ما يصون صنعته وما يفسدها . . ولذلك فقد وضع لصنعته القوانين . . لكى تظل صالحة دائما لأداء مهمتها بتوفير وسائل استمرار الحياة كالطعام والشراب وغيره ، وتوفير وسائل استبقاء النوع بالتناسل ، وتوفير وسائل الحياة الطيبة على الأرض .

لقد شاءت حكمة الله أن ينزل الإنسان ليمارس حياته فى الكون ومعه قانون صيانته الذى يتمثل فى منهج الله فى إفعل ولا تفعل.أو ما نعبر عنه بالحلال والحرام . . ونزل آدم وحواء بعد تجربة دربهما الله عليها قبل أن يمارسا الحياة ويعمرا هذا الكون .

وبداية وقبل أن نتحدث عن التجربة التى مر بها آدم وحواء . . لابد أن نتنبه إلى أن الله تبارك وتعالى أحل الكثير وحرم أقل القليل . . ولكثرته لم يحصر لنا الله ما أحله . . ولكنه سبحانه أحصى ما حرمه . . لماذا ؟ . . لأن ما هو حلال لا يحصى . . أما ما هو حرام فيمكن إحصاؤه . والإنسان

لا يقبل على عدّ شيء أو إحصائه إلا إذا كان قليلا بحيث يقدر على عده . . فلا أحد ـ على سبيل المثال ـ يقبل على عد حبات الرمال أو أمواج البحر أو غير ذلك . . لأنه رغم وجود مؤسسات إحصائية بإمكانيات هائلة الآن . . فإن هذه الأشياء وغيرها تأتي فوق طاقة العد . . كذلك نعم الله فإنها فوق طاقة عد البشرية وفوق الاحصاء . . وفى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(من الآية ٣٤ سورة إبراهيم)

فنعم الله تملأ كل كونه بما لا يقع تحت حصر. ولكنه ـ كما قلنا ـ أحصى فقط ما حرمه لأنه أقل القليل . . ولذلك تجد الله جل جلاله يقول فى القرآن الكريم :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا

﴿ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

(سورة الأنعام)

هذا بعض ما ذكره من آيات التحريم ، وهذه الآيات تشمل الوصايا العشر التى نزلت على موسى عليه السلام . . ولكنك لن تجد فى القرآن الكريم أبدا آية تقول تعالوا أتل ما أحل ربكم لكم .

. . ولقد كانت هذه أساس التدريب الذى درب الله سبحانه آدم وحواء قبل أن ينزلا الى الأرض . دربهما وهيأهما للعيش فيها حيث أسكنهما مكانا وارف الظلال . . فيه من كل الثمرات أسماه جنة . . والجنة فى القرآن الكريم تطلق على جنان الدنيا والآخرة . . فأى مكان يستر صاحبه ويعطيه مقومات الحياة بحيث لا يحتاج أن يخرج منه لأن فيه الماء والزرع وغير ذلك يسمى جنة . . إننا نجد قصة صاحب الجنتين الذى عصى وكفر . فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة الكهف)

كما نجد فى القرآن الكريم قصة أصحاب الجنة الذين منعوا حق اليتامى والمساكين فى ثمار الجنة فأهلكها الله . . كما يروى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾

(من الآية ١٧ سورة القلم)

آدم وحواء قبل أن ينزلهما الله إلى الأرض أدخلهما جنة . . فى هذه الجنة ثمار كثيرة وهى تكفيهما تعب الحياة ومشقتها . . كل شىء متوافر . . كل ما يحتاجانه موجود . . وعندما أراد الله سبحانه وتعالى . . أن يدخلهما فى تجربة الحلال والحرام . . لم يعدد لهما ما أحله لأنه كثير . . فقال جل جلاله :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ ﴾

(سورة البقرة)

الله سبحانه وتعالى لم يعدِّد لآدم وحواء ما أحله لهما . . بل قال كل شىء فى هذه الجنة حلال . . حدد لهما الحرام فقط . . فقال : « لا تقربا هذه الشجرة » . . شىء واحد لا يقربانه وكل شىء بعد ذلك مباح .

. . ولكن لماذا حرم الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة ؟ . . حرمها لكى نعى فلسفة الحلال والحرام فى الكون كله . . فخالق الإنسان أدرى بقانون صيانته . . فيقول لك هذا يعمل على تيار كذا وبنظام كذا . . وإذا فسد فافعل كذا لتصلحه .

ونحن صنعة الله سبحانه وتعالى . . وقانون صيانة هذه الصنعة أن نقف أمامه جل جلاله كل يوم خمس مرات . . ولا تقول ماذا يفعل هذا الوقوف فى صيانة الإنسان ؟ . . لأن الصيانة البشرية أساسها نفسي وعقلى . . وأنت لا تدرى ماذا يحدث لنفسك وأنت واقف بين يدى الله . . ما الذى يخرج منها من أحقاد الدنيا ؟ . . ما الذى يدخل فيها من نوازع الخير ؟ . .

كيف يذهب الانفعال وكل ما يهيج النفس ويدفعها إلى الشر ؟ .. إنك واقف بين يدى الله الصانع الذى يصون صنعته .. وإذا عرضت الصنعة على صانعها خمس مرات فى اليوم .. أيحدث بها عطب .. أبدا ؟.. أتشكو من خلل .. أبدا ؟..



الله وضع لنا قانون حياتنا

إن فضل الله علينا أنه وضع فى منهجه لنا ما يصون حياتنا ويجعلها طيبة .. لقد شاء عدله أن يخرج احتياجات الحياة الحيوية من حكم الإنسان .. فالهواء ـ على سبيل المثال ـ لا يستطيع الإنسان أن يصبر عليه إلا ثوان .. لذلك لم يملكه الله لأحد .. ولأن الماء يستطيع الإنسان أن يصبر عليه إياما فقد جعل الله ملكيته محدودة .. أما القوت فتصبر عليه أسابيع لذلك ربما ملَّكه .

الله تبارك وتعالى حين وضع تشريعاته عن الحلال والحرام راعت حكمته قدرة الإنسان فى الصبر على الأشياء .. فلم يجعل فى الهواء حلالا وحراما ولكنه جعل فى الشراب حلالا وحراما وفى القوت حلالا وحراما .. وفى كلتا الحالتين بين لنا الله سبحانه وتعالى ما يصلح لنا ولأجسادنا ولحياتنا من طعام وشراب وهذا ما تركه حلالاً ، ثم حرم ما يصيبنا بالضرر ويتلف أجسادنا ويؤثر على عقولنا .. تماما كما يحدد صاحب الصنعة الوقود الذى يصلح لها .. فإذا جئت ببنزين سيارة ووضعته فى طائرة فإنها لا تؤدى مهمتها ، وإذا طارت تسقط .. كذلك إذا جئت بطعام محرم وأعطيته لإنسان ، فإذا تناوله تلف جسده ومرض ، وأصبح غير قادر على أن يؤدى مهمته التى خلق من أجلها وهى العبادة .

وكما قلت أعطانا الله سبحانه وتعالى فى تجربة الحلال والحرام التى مر بها آدم وحواء فلسفة التحريم .. لقد قال الله لهما : « لا تقربا هذه الشجرة » .. وكان ذلك لصالحهما حيث كانا سينعمان بحياة بلا تعب ..

الشيطان أغراهما أن يأكلا من الشجرة ووعدهما بأشياء لن تتحقق .. مثل أن يكونا خالدين ، وهذا فى الدنيا مستحيل .. وأن يكون لهما ملك لا يذهب .. وهذا أيضا مستحيل ، لأننا نعيش فى عالم أغيار .. لكنهما صَدَّقا إبليس وأكلا من الشجرة .. فماذا حدث لهما ؟ .. يقول الحق سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

(سورة الأعراف)

إن عدم أكلهما من الشجرة كان سيحقق لهما أولا العيش فى الجنة ، وثانيا أنه لم تكن عوراتهما ظاهرة ، ومعنى ذلك أنهما ربما كان يأكلان أكلا لا يترك فضلات فى الجسم يجب أن تخرج .. كطعام الطفل فى بطن أمه .. ومن هنا بعد أن أكلا من الشجرة ظهرت لهما عوراتهما ..

إن هذا يلفتنا إلى أن أول شىء فى الحرام هو أنه يُظهر عورة الإنسان .. سواء كانت عورة نفسية أو عورة خلقية أو عورة جسدية ، فالحلال هو لباس التقوى يخفى عورات المؤمنين ،

والحرام يُظهر هذه العورات ليراها المجتمع كله . . فالإنسان الذى يحصل على مال حرام بالرشوة أو بالسرقة أو بالتزوير أو بغير ذلك ، يقبض عليه ويقدم للمحاكمة وتنشر صوره فى الصحف . . ويقول المجتمع كله هذا لص . . لقد انكشفت عورته لأنه لم يتبع طريق الإيمان ولم يلتزم بالأمان ولو إلتزم ما بدت هذه العورة أبدا .

رجل يزنى مع زوجة غيره ، مجرد أن يراه الناس يعرفون خلقه السيىء ويعرفون خلقها السيىء وتصبح فضيحة يتناقلها الناس فى مجالسهم حتى ولو لم يطبق فيها الحد . . لقد انكشفت عورتهما وخاض الناس فى سيرتهما . . لو أن هذا الإنسان عاش حلالا ودخلت عليه الدنيا كلها ومعه زوجته ما قال أحد شيئا .

إن مراد الله من التحريم هو أن يخفى عوراتنا عن الناس ويجعلنا نعيش حياة طيبة . . هذا التحريم هو لمصلحتنا لأن الله سبحانه إذا قال لى لا تسرق . . منعنى من أن أسرق مال غيرى . . ولكنه فى نفس الوقت منع الدنيا كلها من أن تسرق مالى وأنا فرد . . أيهما فى مصلحتى . . أن أرفع يدى عن مال الناس ؟ . . أو أن يرفع الناس كلهم أيديهم عن مالى ؟

الله حرم على أن أنظر إلى محارم غيرى . . ولكنه حرم على الدنيا كلها أن تنظر إلى محارمى . . أيهما يحفظ حرمتى ؟ . . ألا أنظر أنا الى زوجة غيرى ، أو ألا ينظر الناس كلهم إلى زوجتى . . الرد بالقطع هو ألا ينظر الناس كلهم إلى زوجتى .

إن هذا لهو أكبر دليل على أن ما حرمه الله هو لصالحى . .

ولكننى لا أنظر النظرة الصحيحة للأمور . . لا أنظر النظرة العادلة التى تساوى فى الحقوق بينى وبين غيرى لأننا كلنا عباد الله متساوون أمامه ، وما لا أرضاه لنفسى . . يجب ـ بميزان العدالة ـ ألا أرضاه لغيرى .

الله سبحانه وتعالى هو وحده الذى يملك أن يقول هذا حلال وهذا حرام . . هذا حقه وحده . . لأنه هو سبحانه الذى يضع المنهج ، وهو جل جلاله منزه عن الهوى ، فلا يميل إلى أحد على حساب آخر . . ولايقنن لصالح أحد دون آخر ، لقد تدخل الكفار ومدّعو الألوهية وعباد الأصنام وغيرهم . . فيما أحل الله سبحانه وتعالى وفيما حرم . . وحاولوا أن يجعلوه على هواهم ، فوصفهم الله بالافتراء وتوعدهم بعذاب عظيم . . يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

(سورة يونس)

إن الحلال والحرام هما أمران يقررهما الله وحده . . وليس لأحد من خلقه أن يتدخل فيهما أو يصدر حكما إزاءهما مهما علا فى الأرض إلا بالرجوع إلى القواعد التى وضعها الله . . حين لا يكون هناك نص صريح . . من قرآن كريم أو سنة مطهرة .

ماذا فعل الكفار ؟ . . بعضهم جعل إرادتهم هى قانون الحلال والحرام . فما يعتقدون أنه يفيدهم أحلوه . . وما يقيد شهواتهم حرموه . . هذه واحدة . البعض الآخر أراد أن يتقرب للأصنام بأن يحل لها نعم الله ويحرمها على عباد الله الذين

خلقت لهم هذه النعم . . مع أن الله سبحانه وتعالى أعد هذا الكون بكل ما فيه من نعم لخدمة الإنسان الذى جعله فى الأرض خليفة وذلك كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(سورة المائدة)

فما هى الْبَحِيرَةُ ؟

الْبَحِيرَةُ هى الناقة التى تشق أذنها كعلامة لها . فلا يتعرض لها أحد . لا ترد عن مرعى ولا عن ماء ، ولا يشرب لبنها ولا يركب ظهرها ولا يجز صوفها . لماذا ؟ لأنهم قالوا لقد أنجبت خمسة بطون فيجب أن نعفيها . والسائبة هى الماشية التى كانوا يتركونها لآلهتهم فلا يتعرضون لها . الوصيلة الشاة التى ولدت سبعا فاذا كان السابع ذكرا ذبح لآلهتهم وإن كانت أنثى تركت ، والحام هو الفحل الذى لقح عشر سنين .

كل هذه المسائل . . البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، هى من اختراعات أهل الكفر ، الذين يفترون على الله . فالحق سبحانه وتعالى خلق هذه الأنعام ليستمتع الإنسان بأكلها وشرب لبنها وتسخيرها إلى ما يفيده . ولكن الكفار لقصور عقولهم يقيدون نعم الله التى تفضل بها على خلقه فيحللون ويحرمون على هواهم وبما توسوس لهم به شياطينهم .

وهكذا نرى أن الكفار قد أخذوا من الأنعام التى خلقها الله

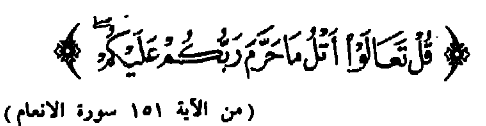
سبحانه وتعالى وجعلوها لغير الله . . جعلوها للأصنام . . التى اعتبروها شركاء لله سبحانه وتعالى . . وهم فى ذلك يغيرون ما شرع الله من حلال وحرام . . وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) ﴾

(سورة الأنعام)

هذه صورة لعبث الكفار فى الحلال والحرام . . ليحققوا هوى لأنفسهم لأنهم يعتقدون أن ذلك إرضاء للآلهة المزعومة أو الأصنام التى يعبدونها من دون الله !!

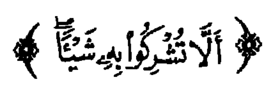
وقبل أن نبدأ فى مناقشة قضية الحلال والحرام تعالوا نستعرض ما حرمه الحق سبحانه وتعالى على عباده ـ كما يقرر القرآن الكريم ـ حتى لا يتدخل أحد بالاضافة أو بالحذف فيما قرر من حل أو تحريم . يقول الله تعالى :



(من الآية ١٥١ سورة الانعام)

إن الله تبارك وتعالى يحدد ما هو محرم عليهم حتى يكونوا على بينة . . ولا يأتى واحد مجادلا يوم القيامة يقول يارب حرمت ولم تبلغنا فكيف تحاسبنا ؟ سيقول لهم الحق سبحانه وتعالى لا . .

فكل ما هو محرم عليكم عند نزول القرآن ذكره الله تبارك وتعالى تحديدا . . ذلك أنه كانت هناك أشياء محرمة على أهل الكتاب قبل نزول القرآن ثم تاب الله عليهم . . ومنذ نزل القرآن أصبح هو الدين الذى يجب أن نتبعه جميعا . . ولا يقبل الله من أحد دينا غيره . فهذه المحرمات هى الباقية إلى يوم القيامة . . أولها :



(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

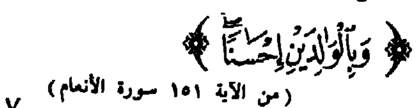
هذه قضية القمة التى جاءت مع كل الرسل . . عبادة الله وحده لا شريك له . . الله سبحانه وتعالى واحد أحد . . ومعنى واحد أى ليس كمثله شىء ، ومعنى أحد أى ليس مكونا من عدة أشياء يكمل بعضها بعضا . . بل هو أحد لا يتجزأ . .

لقد حرم الله تبارك وتعالى أن يشرك به . . أى أن نؤمن أو نقول . . أو ندعى أن لله شركاء ، وجعل الله ذلك ذنبا لا يغفر مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

(من الآية ٤٨ سورة النساء)

فأول المحرمات ألا تشرك بالله . فهذا الشرك يؤدى بك الى الخلود فى النار . . لأنك كفرت بمن خلق السموات والأرض وخلقك . . ثم قال جل شأنه .



(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

ومعناها أن تحسن إلى والديك عند الكبر . . ولماذا عند الكبر ؟ لانك لا تستطيع أن تحسن اليهما فى شبابهما . . ذلك أنه حتى تقف على قدميك وتكبر . . وتستطيع أن تتكسب ما تحسن به لوالديك . . يكونان قد كبرا ، ولذلك فالمطلوب هو الاحسان بالوالدين عندما يبلغان الكبر . . لأنهما هما السبب فى مجيئك إلى الدنيا . . رعياك وأنت صغير ، وسهرا عليك وأنت مريض . . فلا أقل من أن ترد لهما الجميل عندما يكبران . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث الشريف :

(الجنة تحت أقدام الأمهات) .

إن غضب الأم لأمر عظيم يجب أن نتوقاه ، وأن نحذر من مغباته . . إذا أردنا أن يمن الله علينا بحسن العاقبة . ومما ورد فى هذا الشأن ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن علقمة وكان شابا كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوجى علقمة فى النزع ، فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله .

فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عمارا وصهيبا وبلالا وقال : امضوا إليه ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع ، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ولسانه لا ينطق بها . فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أن لسانه لاينطق بالشهادة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل من أبويه أحد حى ؟ قيل يا رسول الله أم كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال

لمن أرسله اليها : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا فاقعدى فى المنزل حتى يأتيك .
قال : فجاء إليها رسول رسول الله فأخبرها بقوله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نفسى لنفسه فداء . أنا أحق بإتيانه .

فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة أصدقيني. وإن كذبت جاء الوحي من الله تعالى . كيف كان حال ولدك علقمة ؟ فقالت : كثير الصلاة ، كثير الصوم ، كثير الصدقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما حالك ؟ قالت : أنا عليه ساخطة . قال وَلِمَ ؟ قالت كان يؤثر عَلَىَّ زوجته ويعصينى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة .
ثم قال : يا بلال انطلق واجمع لى حطبا كثيرا . قالت يا رسول الله وما تصنع ؟ قال أحرقه بالنار بين يديك . قالت ولدى لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى . قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى . فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه . فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته . مادمت عليه ساخطة .

فقالت يا رسول الله . إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين ، أنى قد رضيت عن ولدى علقمة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى . فانطلق فسمع علقمة فى

الدار يقول : لا إله إلا الله .

ومات علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمر بغسله وكفنه ، ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على قبره وقال :

« يا معشر المهاجرين والأنصار . من فَضَّلَ زوجته على أمه .. فعليه لعنة الله والملائكة ، والناس أجمعين . لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عز وجل . ويحسن إليها ويطلب رضاها . فرضى الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها »

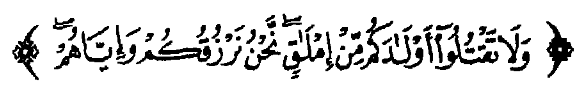
وهكذا نرى عظم منزلة الأم والأب عند الله سبحانه وتعالى .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد يوما المنبر . . وسمعه الصحابة عليهم رضوان الله يقول آمين . . ثلاث مرات . . فقيل يا رسول الله علام أَمَّنت ؟ قال أتاني جبريل فقال يا محمد رَغِمَ أنف رجل ذكرت عنده فلم يُصَلِّ عليك . قل آمين . فقلت آمين . ثم قال : رَغِمَ أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له . قُل آمين . فقلت آمين . ثم قال : رَغِمَ أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة . قل آمين . فقلت آمين .

إن عقوق الوالدين والتعرض لسخطهما من الكبائر التى

يجدر بالإنسان المسلم النأى عنه وفاء لهما وإرضاء لله الذى أمر بالإحسان إليهما .

يأتى بعد ذلك ثالث ما حرمه الله فى قوله تعالى :



(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

هذه الآية الكريمة أتت فى القرآن مرتين . . هنا فى سورة الأنعام . . وأخرى فى سورة الاسراء فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾

(من الآية ٣١ سورة الاسراء)

بعض الناس يقولون إن الآيتين متشابهتان ونقول لهم لا . . إن الآيتين مختلفتان . فالآية الأولى تقول :

« لا تقتلوا أولادكم من املاق »

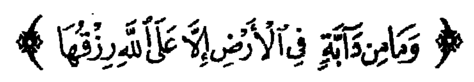
فما هو الإملاق ؟

الإملاق هو الفقر . . ويكون معنى الآية أن الفقر موجود ، وأن الأب يخشى أن يزيده الإبن فقرا . فيطمئنه الله بقوله تعالى له : رزقك لن ينقص منه شيء ، رزق ابنك موجود لأن الرازق يقول : « نرزقكم وإياهم » . . أى يأتى الابن ومعه رزقه فلا يأخذ من رزق الأب شيئا .

أما الآية الثانية فتقول « خشية إملاق » بمعنى أن الفقر غير موجود ، ولكن الأب يخشى أن يأتى الإبن ومعه الفقر فيقول

الحق : « نحن نرزقهم وإياكم » أى ، أن رزقه يأتى معه أولا فلا تخش شيئا فالآيتان مختلفتان .

وتحريم قتل الأولاد هو تحريم قتل النفس التى خلقها الله ، والله خالق إبنك وهو الذى إستدعاه إلى الحياة الدنيا . . ولهذا فرزقه مكفول مصداقا لقوله تعالى :



(من الآية ٦ سورة هود)

فلماذا الكفر . . ولماذا القتل . . وقد ضمن الله لكما الرزق ؟! .

يأتى بعد ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

ماهى الفواحش ؟ . . الفواحش جمع فاحشة ، والفاحشة هى الشىء البالغ القبح . . فالزنا مثلا فاحشة ، وشرب الخمر . . كذلك . . إلى آخر ما يوصف بأنه من الذنوب الكبيرة . والله سبحانه وتعالى يقول هنا : « ما ظهر منها وما بطن » . . لماذا قدم « ما ظهر » ؟ لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد علنية الذنوب . . حتى لا تشيع الفاحشة فى المجتمع . . وحتى لا يؤدى إرتكابها بطريق العلانية إلى أن يصبح قدوة للمجتمع . . يفعله الناس دون وازع من ضمير . . أو بلا استحياء ولذلك يقول رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

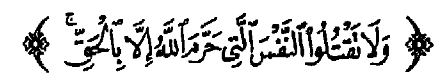
(كل أمتي معافى إلا المجاهرين . وأن من المجانة ـ المجون ـ أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان . عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه) .



إظهار الفواحش وقتل النفس

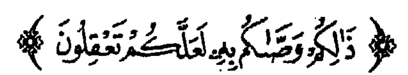
لقد حرم الله الفواحش كلها . . ولكنه شدد النكير على من يجهر بها وإن كانت كل فاحشة ـ ظاهرة أو باطنة ـ هى إثم كبير يعاقب عليه مرتكبه .

ننتقل إلى قول الله تعالى :



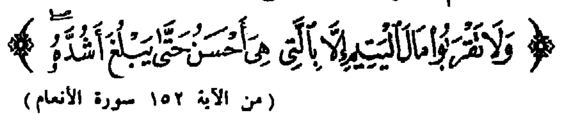
(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

القتل إزهاق روح أنت لم تخلقها ، واعتداء على حياة أنت لم توجدها . . ومادام الأمر كذلك ، فلا يحق لك أن تقتل نفسا . . لقد وضع الله سبحانه وتعالى القواعد التى يحل بها قتل النفس . . إن إزهاق أى روح بشرية يجب أن يتم وفق قواعد حددها الله ولا يحق لنا أن نتعداها ، نجدها فى قوله تعالى : « إلا بالحق » ويقول سبحانه :



(من الآية ١٥١ سورة الأنعام)

أى إنكم لو استعملتم عقولكم لعرفتم أن هذا هو الحق والعدل . . ثم يقول الله جل جلاله :



(من الآية ١٥٢ سورة الأنعام)

واليتيم هو من مات أبوه ولم يبلغ مبلغ الرجال.وماله ـ عادة ـ في هذه المرحلة السنية يكون مطمعا . . وكل وصى عليه يحاول أن يأخذ منه بدون وجه حق . . ويفعل ذلك قبل أن يبلغ اليتيم سن الرشد ويتسلم ماله ، ولأن اليتيم ضعيف ومنكسر ، ولا يستطيع أن يدفع عنه طمع الطامعين . . فقد جعل الله جل جلاله حرمة مال اليتيم حرمة شديدة . . نستشعر هذه الحرمة من منطوق الآية للدلالة على قوة التحذير . . فلم يقل الحق لا تأخذوا ولكنه قال « لا تقربوا» زيادة في التحريم . . فالكبائر التي يريد الله أن يتجنبها الإنسان يقول لهم بشأنها لا تقربوا ، إنه يحذر هنا من مجرد الاقتراب من مال اليتيم . . فضلا عن أخذه .

ثم يقول الله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(من الآية ١٥٢ سورة الأنعام)

ليس المقصود بالكيل والميزان الكيل المادى فقط . . ولكن يجب أن يكون هناك ميزان لكل شيء بحيث إذا اختل . . اختل معه المجتمع كله . . لأن اختلال ميزان العدل أو ميزان الأمانة أو ميزان الحق يهوى بالمجتمع كله . وكما نراقب الميزان المادى يجب أن نراقب الميزان المعنوى حتى لا يختل الكون . .

وليس معنى ذلك إنك مطالب بالعدل المطلق . . فالعدل صفة من صفات الله لا يصل إليها أحد . . ولكن على قدر استطاعتك . . فالله سبحانه يقول : « لا نكلف نفسا إلا وسعها » .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

(سورة الأنعام)

إن الله يأمرنا ألا نبتعد عن العدل مجاملة لقريب . . وليس المقصود قرابة النسب فقط ، ولكن حتى مجرد القرب القلبي ولو بالصداقة ، فالمجاملة لا تكون على حساب الحق أبدا لأنك ستسأل عن ذلك يوم القيامة . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار] وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال [والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله] .

وكما نهانا ألا نبتعد عن الحق مجاملة لصديق أو قريب . . فقد نهانا كذلك ألا نبتعد عن الحق مع من بيننا وبينه عدواة فالحق أحق أن يتبع . فقال سبحانه :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(من الآية ٨ سورة المائدة)

ويقول عز وجل :

﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ﴾

(من الآية ١٥٢ سورة الأنعام)

أى إذا دخلتم فى عهد مع الله سبحانه وتعالى . . فلا تخلفوه وأوفوا به . . فإن المؤمن أكثر وفاء بعهده مع الله من عهده مع الدنيا كلها . . ثم يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(من الآية ١٥٢ سورة الأنعام)

أى أن الله سبحانه وتعالى وصاكم بهذا . . لعلكم تتذكرون يوم تلقونه يوم القيامة أنه وصاكم به ، لأن هذا سيكون عليه حساب . . أو لعلكم تذكرون حين يغريكم الشيطان بأن تخالفوا المنهج وترتكبوا هذه المحرمات . . إن الله أوصاكم بعدم ارتكابها حتى لا تقعوا فيها ، ثم يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

(من الآية ١٥٣ سورة الأنعام)

الله جل جلاله يريدنا أن نتمسك بالصراط المستقيم . . وألا نحيد عنه يمينا أو يسارا . . لأن بداية الانحراف تكون بسيطة . . ثم تتسع مع الزمن حتى تصبح كبيرة جدا . . « والصراط المستقيم » . هو أقصر الطرق الموصلة بين نقطتين وهو من استقامته لا ينحرف أبدا . . ومادمت على هذا الصراط أو الطريق تتبعه . . فأنت على الايمان واليقين . . وإن إتبعت سبلا أخرى أو طرقا أخرى . . فإنها ستبتعد بك عن سبيل الله . . وتجد نفسك قد ضللت . . وربما لا تستطيع العودة إلى طريق الله المستقيم .

وقوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(من الآية ١٥٣ سورة الأنعام)

أى أن الله وصاكم بهذا حتى تنالوا التقوى وتحصلوا عليها .



الفصل الثانى



الحلال .. والنفس البشرية

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ وبينهما مشتبهات) .

هذا الحديث الشريف يعطينا عمقا كبيراً فى المعنى بالنسبة للحلال والحرام .. ولنبدأ بالحديث خطوة خطوة ..

ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحلال بَيِّنٌ) ؟ معناه أن الحلال ظاهر وواضح .. كيف ؟.. نقول بالنظرة ـ مجرد النظرة ـ للشعور الإنسانى فى داخله ، بعلاقته بالمحيطين به ، تستطيع أن تعرف الحلال من الحرام .. حينما ترى إنسانا يعيش حياة ليس فيها إثم .. أتجده يتصادم مع نفسه ؟! إنه يتواجد مع زوجته وأولاده .. فى الصباح وفى المساء وفى أى وقت من ليل أو نهار هل يخشى أن يراه أحد ؟ ينزل إلى الشارع ويذهب إلى عمله .. هل يحس أنه يتصارع مع نفسه ؟ حياته كلها واضحة لا يخشى أن يطلع أحد عليها ، فلا شىء عنده يخفيه .. ولا شىء يخاف منه .

(والحرام بَيِّنٌ) .. فالذى يعيش حراما .. هو فى صراع دائم مع ملكات نفسه: فإذا كان الحرام مالا .. فإنك تجده فى الصباح يعد نقوده قبل أن ينزل من بيته ، يغلق الأبواب والشبابيك ليتأكد إن أحدا لا يراه .. يخفض صوته ليتأكد أن أحداً لن يسمعه .. يلتفت يمنة ويسرة لأن ما يحصيه ويعده هو مال حرام يخشى أن يراه الناس فى يده ..

وحتى لو لم يعرف أحد أنه مال حرام أو مال مسروق . . فيكفى أن صاحبه يعرف . . يجلس فى بيته وهو قلق ، إذا دق الجرس خشى الشرطة ، أو صاحب المال ، أو حضور من يهدده ممن يكون قد رآه وهو لم يره . . إذا ذهب يشترى شيئا فهو مضطرب وقلق يخرج المال ويتساءل هل تم إبلاغ أرقام أوراق البنكنوت إلى التجار ؟ إنه فى حالة قلق واضطراب مستمر ، رغم أنه متأكد أن أحدا لم يره ولا يعرف عنه شيئا . .

وفى حالة ما إذا كان الحرام إمرأة . . وكان الرجل يجلس مع زوجة صديقه أو مع إمرأة أجنبية عنه ثم دق جرس الباب . . تحدث مصيبة كيف يتصرف ؟ وماذا يفعل ؟ هل يسكت كأن أحدا غير موجود ؟ أم يخرج إلى باب الشقة ليقابل الطارق ؟ أم يبحث لها عن سلم خلفى لتهرب منه ؟

صورة أخرى للحرام . . من يريد أن يزور توقيعا لأحد المسئولين ماذا يفعل ؟ إنه يغلق الأبواب والنوافذ ويحرص على ألا يراه أحد . . ثم يوقع عشرات المرات على ورق خارجى ليتأكد أنه يستطيع أن يضبط التوقيع . . ويقدم الورقة وهو خائف مرعوب . . ما هذا ؟

إذا جئنا للمادة الصرفة . . هذا مال حلال كان أو حراما فهو مال . . فى رسمه وشكله وكل خصائصه لا يختلف الجنيه الحلال عن الجنيه الحرام . كلاهما لايختلف عن الآخر . وبالنسبة للمرأة هذه إمرأة وهذه إمرأة لا يختلفان عن بعضهما البعض . . كون واحدة منهما زوجته . . والثانية زوجة رجل

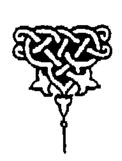
آخر .. هما فى القالب المادى لا يختلفان .. وفى التزوير حروف التوقيع هى نفس الحروف وربما تشابها تشابها مطلقا .

إذن ما الذى يوجد هذا الفرق الرهيب فى الشعور داخلك ؟! إنه إيمان الفطرة .. ذلك الإيمان الذى وضعه الله فيك ، وأشهدك على أنه ربك وإلهك .. هذا الإيمان فيه ملكات داخل النفس تنسجم مع الحلال تلقائيا ودون أدنى تفكير ، وتتصادم مع الحرام حتى دون أن تعرف إنه حرام ! انها تهدأ مع الحلال ، وتضطرب مع الحرام وهذا أكبر دليل على مدى عمق الإيمان فى النفس البشرية .. وأن هذه النفس إذا انسجمت مع صاحبها عاشت معه فى هدوء وسعادة وإذا اضطربت .. عاشت معه فى شقاء .. ويكفى هذا دليلا على أن الحلال من الله .. وأن الحرام من الله . وليس لنا أن نتدخل بالحل أو بالتحريم حتى لا نخرج عن منهج الله .

إن من يطلع على أحوال المجتمعات غير المؤمنة يجد أنهم يعيشون فى تمزق وشقاء نفسى ، رغم الامكانات المادية التى يعيشون فيها ، إن مستواهم المادى مرتفع جدا .. ومع ذلك فإن نسبة الجنون والانتحار بينهم .. هى أعلى نسبة فى العالم .. ولنأخذ مثالا لذلك بلدين كالسويد وأمريكا ، فرغم الثراء فيهما ، نجد أن فيهما أعلى نسبة فى الانتحار والجنون .. لماذا ؟ لأن الإنسان ليس مادة فقط .. بل فيه روح .. وهذه الروح إن لم تنسجم مع خالقها اهتزت واضطربت وضاعت .. وليس المال وحده هو الذى يعطيك .. ولكن الإيمان يعطيك أكثر .. يعطيك القناعة والرضا والاطمئنان ولو لم يوجد من المال إلا القليل ..

إن بعض الناس لا يعرف قوة الحلال والحرام فى النفس البشرية ، ولكنها قوة رهيبة نابعة من الخالق سبحانه وتعالى . . ولنضرب لذلك مثلا بسيطا : هب أن شابا جاء وطرق الباب على أسرة من الأسر . . وقال للأب الذى فتح الباب إن ابنتك تعجبنى وأريد أن أجلس معها فى حجرة مغلقة . . ماذا يفعل الأب ؟ سوف يحضر عصا غليظة يحطمها على رأس هذا الشاب أو يقذف به من فوق السلم . . أو أن يجمع أولاده وينزلوه إلى الشارع ليحطموا رأس هذا الشاب الصفيق .

نعكس هذه الصورة نقول إن نفس هذا الشاب جاء إلى نفس الأب وقال له : إنى فلان وموظف فى كذا وأريد أن أتزوج ابنتك وأتقدم لخطبتها . فماذا يحدث ؟ يسرع الأب ويخبر زوجته وابنته والجيران والأقارب ويحتفى الجميع بالشاب حفاوة كبيرة . وبعد عقد قرانهما واقامة فرح الزفاف يختليان فى غرفة النوم . . فإذا حاول أحد أن يفتح الباب عليهما . . منعه الأب ونهره . . هذا هو الفرق . . هذا هو الحلال .





الفرق .. هو الحلال

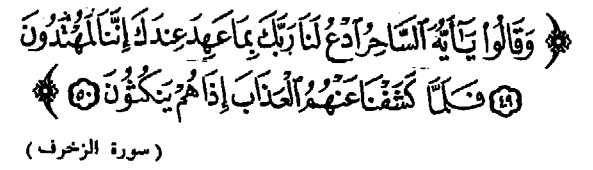
تصرف الشاب فى الحالة الأولى جعلت دم الأب يفور ويغلى ، وفى الحالة الثانية كان الأب سعيدا مسرورا . . الفارق بين الحالتين . . هو الفرق بين الحلال والحرام ولا شىء أكثر من ذلك . الحرام جعل الْحَمِيَّة فى جسد الأب تشتعل ، جعلته يشعر أنه أهين ، ولابد أن ينتقم لشرفه . . أما الحلال فقد أنزل السكينة على قلب الأب وجعله يتقبل وضعا لم يكن من الممكن أن يتقبله لو لم يكن حلالا .

أرأيت كيف أن الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ فى تعامل النفس البشرية مع أحداث الدنيا ؟ الحرام داخل النفس يرهقها ويؤرقها ولو لم يَبْدُ ذلك على السطح . . إنه إحساس عميق بالذنب يهزها بعنف مهما حاولت أن تبدو سعيدة . أما الحلال فإنه يجعل النفس مستريحة . . تعيش آمنة مطمئنة مهما كانت مواردها . . يكفى أنها تحس أنها لم تفعل حراما . . حتى فى تلك الدول التى لا تؤمن بدين . . تجد أن قيم الحلال والحرام تفرض نفسها على المجتمع بشكل أو بآخر . . تصبح الأمانة محبوبة والخيانة بغيضة . . ويصبح الصدق مريحا والكذب مكروها . . وتجد أن المجتمع تسيطر عليه قيم الحلال والحرام بصورة أو بأخرى . . فالمرأة المستهترة حتى فى مجتمعات الانحلال مكروهة . . الرجل النصاب الذى لا قيم عنده حتى فى المجتمعات التى لا تؤمن بدين غير مرغوب فى صداقته . .

من أين جاءت هذه القيم التى تريح أو تتعب الناس فى حياتهم . . مع أن هذه المجتمعات لا تؤمن بدين ؟ جاءت من الفطرة . . التى خلق الله الناس وفطرهم عليها . . والتى جعلت مجتمعات المادة وإن كانت مرفهة فى حياتها إلا أنها شقية محطمة داخل نفوسها .

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ) لا يحتاج إلى دراسة وعمق . . بالفطرة تعرف الخير من الشر والحلال من الحرام . . ولكن الإنسان يكابر ويعرف الحق ولكنه لا يعترف به .

أنظر إلى آل فرعون عندما جاءهم موسى بالآيات . . الدم والضفادع والجراد والقمل . . تمسك المرأة من قوم فرعون بكوب الماء . . فيتحول فى يدها إلى كوب من الدماء . . ويأكل الرجل فى طبق فيجد بدل الطعام ضفادع . . آيات رأوها . ولجأوا إلى موسى وقالوا له إدع لنا ربك ليكشف عنا هذا البلاء كما جاء فى قوله تعالى :



(سورة الزخرف)

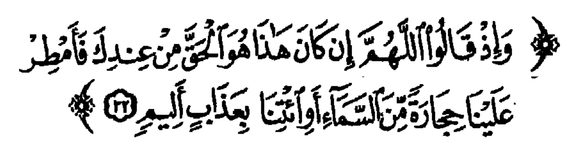
وهكذا بمجرد أن كشف الله عنهم العذاب . . عادوا إلى الضلال . . ولكن هل عادوا عن شك فى أن ما تعرضوا له لم يكن معجزة من السماء ؟ لا . . لقد كانوا متيقنين إنها معجزة ، ولكنهم استكبروا أن يعترفوا بذلك .

واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾

(سورة النمل)

إن الأمر لم يكن أمر تصديق أو تكذيب . . إنما كان أمر استكبار وسيادة فى الأرض . . تجعل الإنسان لا يعترف مهما أحس فى داخله بصدق الحلال والحرام . . ألم يقل كفار مكة :



(سورة الأنفال)

ولو كان عندهم ذرة من عقل لقالوا : اللهم إن كان هذا الحق من عندك فإهدنا إليه . ولكنه الاستكبار . . الكبر فى النفس . . إنهم يريدون أن يحتفظوا بالسيادة وبالسلطان الدنيوى . . كما حكى عنهم القرآن الكريم :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) ﴾

(سورة الزخرف)

إذن لا عيب فى هذه المسألة كلها . . لا عيب فى الإيمان ولا فى الأحكام . . إنما العيب كله أن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتيم أمي فقير ، ولو أنه نزل على أحد زعماء القبائل ، أو أحد وجهاء قريش وكبرائها لاتبعوا هذا

القرآن وصدقوا به !! إذن المسألة كبرياء دنيوى ولا علاقة لها بالحق . .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ وبينهما أمور مشتبهات) فما هى هذه الأمور المتشابهة ؟! من أين تأتى ؟ إنها تأتى من الإسراف . والإسراف معناه تجاوز الحد . . سواء من ناحية الحلال أو من ناحية الحرام . بعض الناس يسرفون فى الحلال . فيزيدون منه وينقصون ما هو حرام وهذا إسراف . . والله تعالى بَيَّنَ الحرام وحدده وترك الباقى حلالا . . يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(من الآية ٣١ من سورة الأعراف)

إذن الإسراف فى أى شىء يبغضه الله ولا يحبه . . كأنك لو زدت طاقة الحلال وأنقصت الحرام . . أى أخذت من الحرام إلى الحلال أو من الحلال إلى الحرام . . فإنك تكون قد تجاوزت الحد . . إذن قد تتجاوز فتزيد منطقة الحلال أو تزيد منطقة الحرام .

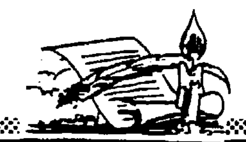
فقد يكون الشىء حلالا فى ذاته ولكنك أتيت به عن طريق حرام ، أو قد يكون الشىء حلالا وعن طريق مشروع . . ولكنك أخذت منه فوق حاجتك فيكون إسرافا .

ولنضرب مثلين يقربان ذلك إلى الأذهان . . هب أن موظفا

قد أدى خدمة لتاجر أو مقاول فأرسل إليه مقابل هذه الخدمة هدية . . الهدية عبارة عن صندوق من الفاكهة ، الفاكهة فى حد ذاتها حلال . . ولكن الطريقة التى وصلت بها الهدية إلى الموظف تحمل شبهة الرشوة . . ولو أن الموظف لم يفعل شيئا يخالف القانون لقضاء حاجة هذا المقاول أو التاجر ولم يعطه إلا حقه . . فى هذه الحالة يكون هذا متشابها . .

وكان أبو العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . . كنا نترك ثلاثة أرباع الحلال خوفا من شبهة الحرام . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندما عاد بعض الذين أرسلهم لجباية الزكاة وقالوا هذا حق الزكاة وهذا أُهْدِيَ لنا . . صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد فإنى استعمل الرجل منكم على العمل مِمَّا وَلَّانِي الله ، فيأتى فيقول : هذا لكم ، وهذا هدية أهديت إلىَّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله تعالى ، يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تَيْعَرْ ، ثم رفع يديه حتى رئى بياض إبطيه فقال : « اللهم هل بلغت » ثلاثا (متفق عليه) .

نأتى بعد ذلك إلى المثل الآخر . . إنسان يأكل كميات هائلة من الطعام ويسرف . . وينصحونه بالاعتدال فلا يسمع . . حينئذ تصيبه الأمراض التى تمنعه من أحب الأصناف اليه . كما يقولون . . رب أكلة منعت أكلات . .



وعدل الله سبحانه وتعالى . . يتدخل هنا ليعدل الميزان بالنسبة لكل إنسان . . فالمريض بالسكر الذى منع من تداول الحلوى تماما . . نقول له لقد أسرفت فى تناول السكر وأخذت أكثر من حقك . . فحرمك الله منه لأنك أسرفت فأخذت نصيب عمرك إن كان خمسين أو ستين سنة فى أربعين سنة فتعيش عشرين سنة ليس لك نصيب من السكر . والذى يحكم عليه أن يأكل خبز السن الأسود لمرض أصابه . . نقول له لقد أخذت نصيبك من الدقيق الأبيض سنوات طويلة . . وتركت السن (الردة) . . الآن تأخذ نصيبك من الردة ليكون عطاء الله لك متوازنا .

والله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان . . جعل له أشياء مطلوب أن ينفذها . . وأشياء محرما عليه أن ينفذها . . لو نقل الحلال إلى الحرام ، أو الحرام إلى الحلال يحدث فساد فى الكون . أما الأشياء التى تركها الله سبحانه وتعالى لاختيار العقل ففعلها أو لم يفعلها فهذه لا يحدث منها فساد .

ولكى تبتعد عن المتشابه الذى ربما يؤدى الى الحرام فإنك تحتاط بالنقص فى مجال الحلال أو الزيادة فى مجال الحرام لكى تكون سالما ، ومعنى الاحتياط هو أن يُقبل الإنسان على ما يضمن له الأصل . فإن كنت تريد أن تضمن الحلال . . فلتبتعد عن كل ما تشتبه فيه . . وإن كنت تريد أن تضمن

عدم الوقوع فى الحرام فزد عليه كل ما تشتبه فى أنه حرام .

فمثلا مطلوب منا أن نتجه إلى الكعبة فى الصلاة . . وأنا حينما أكون بعيدا عن الكعبة اتجه جهتها . . وأضلاع الكعبة إثنا عشر مترا وربع ، وأحد عشر مترا وثلاثة أرباع المتر تقريبا . . فأضلاعها غير متساوية . . والاستقامة فى الصلاة حول الكعبة لا تكون إلا على قدر الضلع ثم لابد أن ينحنى الصف . . إذن لا توجد استقامة حول الكعبة إلا على قدر طول الضلع .

إننا ولو بنينا مسجدا بعيدا عن الكعبة طوله ألف متر ، فلن يصادف الكعبة إلا اثنى عشر مترا والباقى لابد أن ينحنى . هذا فى الصلاة . .

وبالنسبة للطواف فإننا نطوف حول الكعبة ، ويصح الطواف بعيداً عنها حتى من خارج المسجد . . فنحن فى الصلاة حول الكعبة نحتاط بالنقص ، وفى الطواف نحتاط بالزيادة . . فإذا جاء إنسان وفعل عكس ذلك . . أى صلى دون أن يتجه اتجاها مباشرا إلى الكعبة ، أو أصر على الطواف ملتصقا بها . . يكون قد نقص من الحلال وزاد من الحرام . . لأنه مسموح للمسلم أن يطوف حتى من خارج المسجد ، ولكنه نقص من الحلال وألزم نفسه بالطواف ملتصقا بالكعبة ، وغير مسموح له أن يصلى داخل المسجد الحرام إلا متجها لأضلع الكعبة . . فكأنه زاد من الحرام وسمح لنفسه أن يصلى داخل المسجد وهو غير متجه لأضلع الكعبة ، وعليه تكون صلاته باطلة .

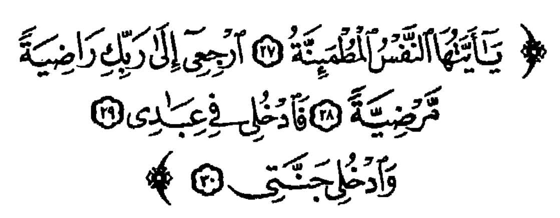
مختلفون نعم ولكن بلا فساد

ولابد أن نفهم أننا مختلفون فى حركة الحياة . . ولكن بشرط ألا يحدث من هذا الاختلاف فساد . . فالاختلاف الذى لا يحدث منه فساد جائز ، ولكن الاختلاف الذى يحدث فسادا يأتى الله سبحانه وتعالى فيحكمه بالحلال والحرام . .

انك حين تراقب أحداث حياتك تجد أن حركة الحياة التى لا تؤدى إلى فساد أدخلها الله فى الحلال . . وحركة الحياة التى تؤدى إلى فساد أدخلها فى الحرام . . هذا فيما ليس فيه نص . . فإذا كنت تاجرا مثلا فلا تبع بضاعتك بأعلى سعر حتى تحتاط لأى ارتفاع فى الأسعار قد يحدث . . لأنك فى هذه الحالة تستغل البسطاء ومحدودى الدخل استغلالا فوق طاقاتهم . . لا تقل هذا حلال انى أحتاط لنفسى . . بل انك تقترب من شبهة الحرام . .

لقد أحل الله تبارك وتعالى الأشياء التى لا يستحى منها الطبع البشرى السليم . . وحرم الأشياء التى يستحى منها الطبع البشرى السليم . . لكى يثبت الإيمان بالفطرة الموجودة داخل كل نفس بشرية . . ولكن ليست كل نفس بشرية تنسجم مع الخير . . فهناك من النفوس البشرية من إعتادت الحياة مع الشهوة والفساد ، فى أول الأمر تعانى ، ثم بعد ذلك تقل المعاناة بالتدريج . . وهناك ثلاثة أنواع من النفس : النفس المطمئنة . . والنفس اللوامة . . والنفس الأمارة بالسوء . .

النفس المطمئنة هى التى أطمأنت لقضاء الله وقدره ، وآمنت وأسلمت قيادتها لله . . تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . . هذه النفس هى التى قال الله سبحانه وتعالى عنها :



(سورة الفجر)

وهناك النفس اللوامة . . وهذه النفس نفس مؤمنة ولكنها لا تستطيع أن تلتزم بالصراط المستقيم ، فتطيع مرة ، وتعصى مرة ، وفى كل معصية تلوم نفسها وتتوب إلى الله . هذه نفس صالحة أيضاً كما جاء فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

(سورة العصر)

ومعنى قوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . . ان أحداها تبتعد عن الحق . . فتوصيها الأخرى بالعودة إليه . . وان أحداها تضيق بالصبر على مكاره الدنيا . . فتأتى الأخرى فتوصيها بالصبر . . فكأنهما يتواصيان فيما بينهما حتى لا يضلا أو يبتعدا عن الصراط المستقيم . . وكلما ابتعد واحد منهما أعاده الآخر مرة أخرى . . وهؤلاء يقول فيهم الحق جل جلاله عن

حالتهم يوم القيامة :

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(سورة الزخرف)

لان الأخلاء الذين يتجمعون على الحرام فى الدنيا . . تجمعهم السهرات الحمراء وتجمعهم المعصية . . لا يفارقون بعضهم البعض ، وكلما اجتمعوا ازدادوا حراما وازدادوا آثاما . هؤلاء عندما يلتقون يوم القيامة يكون كل واحد منهم عدوا للآخر يحاول أن يفتك به . . ويتهمه بأنه هو الذى قاده للمعصية . . وهو الذى يسر له طريق النار . . إلا أصحاب النفوس اللوامة . . فهؤلاء لأن كل واحد منهم عندما رأى زميله يقع فى المعصية أسرع إليه وأخذ بيده وأنقذه منها . . هؤلاء قادوا بعضهم إلى الجنة . . ولذلك فهم أصدقاء يوم القيامة .





النفس الأمارة بالسوء

نأتى بعد ذلك إلى النفس الأمارة بالسوء . . وهؤلاء هم شياطين الأنس الذين يقودون الناس إلى المعصية ويأخذون بيدهم إلى الفساد . . ويزينون لهم الباطل . . هؤلاء المنافقون الكذابون المزيفون أعوان الشيطان هم الذين يفسدون الكون . . والسماء لا تتدخل مادام فى المجتمع نفوس مطمئنة ونفوس لوامة تدعو للخير وتحارب الشر .

إن السماء تتدخل حينما تصبح النفس الأمارة بالسوء هى المسيطرة على المجتمع ، ويصبح الشر فضيلة ، والخير رذيلة ، وتصبح السرقة ذكاء ، وخيانة الأمانة (شطارة) . حينئذ تتدخل السماء لتؤدب هؤلاء الناس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديثه الشريف :
(البر ماطمأنت إليه النفس وإن أفتاك الناس وأفتوك . والاثم ما حاك فى القلب وترددت فيه النفس وكرهت أن يطلع عليه أحد) .

لنفرض ان عندك طباخا طلبت منه أن يقوم بإعداد عدة أصناف من الطعام ، وبعد ان انتهى من إعدادها جاءت ربة البيت وأعطته نصيبه من الطعام . إنه يأخذه بهدوء ويضعه أمامه . ويتناوله أمام الجميع . .

ولكن هب ان هذا الطباخ يريد أن يأخذ قطعة لحم بدون

إذن صاحبته أو صاحب المنزل فماذا يفعل ؟ إنه يتلفت يمينا ويسارا ينظر إذا كان أحد يراه أم لا ؟ ويأخذ قطعة اللحم وهى ساخنة قد تلسع يده .. ويضعها فى فمه وهى ساخنة أيضا ويبتلعها بدون مضغ أو يمضغ قليلا ... وقد تنزل إلى معدته ساخنة .. أو يأخذها ليجرى بها إلى مكان ليخبئها فيه .. ويحيطها بأشياء تضمن عدم كشفها.

والأعجب إن هذا السلوك لا يقتصر على التصرف الإنسانى فى هذه الحالة .. وإنما هو سلوك الحيوان الأليف أيضا .. فالقطة أو الكلب حينما تضع أمامه الطعام يأكله باطمئنان وهدوء وأمان .. واذا سرق قطعة من اللحم يجرى بها بعيدا .. ويختبىء فى مكان لا يراه فيه أحد حتى يأكلها .. لماذا ؟ لان ملكات خلق الله - كل خلق الله - وجدت على الإيمان وعلى الفطرة السليمة .. ولا أحد يستحى أن يراه الناس فى حلال أبدا .

حتى بالنسبة للحضارات التى مرت على الدنيا نجد أن أيا من هذه الحضارات لم تدم ولم تستمر مع انها أخذت حظا وافرا من التقدم .. ووضعت قوانين لنفسها .. فإن المفروض أن تصونها وتبقيها بعد أن وصلت الى مرتبة عالية جدا من التقدم .. لكن رغم هذا كله لم تستطع أن تعطى لنفسها مناعة لتبقى .. لماذا ؟ لان الحرام كان أساسها والبعد عن منهج الله كان طريقها ، والفساد والحرام لا يعطيان إلا الانحدار والتدهور .. بدليل أن حضارة أخرى ورثتها ..

وعلى سبيل المثال فقد وصل القدماء المصريين بعلمهم إلى أشياء يتعجب منها الناس حتى الآن ـ رغم التقدم الحضارى المذهل فى عصرنا ـ حضارة وصلت إلى القمة ، حتى إن سر بناء الهرم غير معروف يقينا إلى الآن . . وكيف أن هذه الأحجار وضعت فوق بعضها البعض متماسكة وقوية دون استخدام أى نوع من الأسمنت !! هذه الحضارة لم تستطع أن تعطى لنفسها مناعة لتبقى . . لماذا ؟ لأن هناك أحداث حياة جاءت أقوى منها فقهرتها وهزمتها . . ثم جاءت حضارة أخرى ، ثم أخرى وهكذا .

إذن فكل ما يقوم على الباطل أو على الحرام لا يبقى . . فحضارات الدنيا تتغير وتتبدل إلا ما قام منها على حق .

فعندما إلتزم المسلمون الأوائل بدينهم وبكلمة الحق . . بقيت الحضارة الاسلامية تقود العالم أكثر من ألف سنة . . ثم ماذا حدث ؟ أقبلت الدنيا على المسلمين فبهرتهم . . عرفوا القصور والجوارى والترف . . والغناء والشراب والحراس . . عرفوا كل ما يفسد الفطرة السليمة وكل ما يبعدهم عن الله . . وعندما ابتعدوا عن الله انهارت حضاراتهم . . وهم الذين قدموا العلم للدنيا كلها . .

إن كل حضارة قامت على الحرام انهزمت وزالت . . وانه لا بقاء لأمر أو لحكم ما لم يقم على أساس من منهج الله الذى يصلح به كل شيء .

الفصل الثالث



حكام الله .. والزمن

ذكرنا فى الفصل السابق أن الله تبارك وتعالى حدد لنا الحرام . أما الحلال فتركه بدون تحديد لكثرته . . ولذلك إذا أردنا أن نتحدث تحديدا ، فإننا نتحدث عن الحرام . . لأنه هو المعدود والمحصور ، والسر فى التحريم إنه يحدث فسادا فى الأرض وفى حركة الحياة . . هذا هو الاطار العام للحرام . . ومادام الله هو الخالق لهذا الكون فهو أعلم بما يصلحه وبما يفسده . . فلا يأتى أحد ويقول انه سيصلح الكون ! أو إنه يستطيع أن يقنن لهذا الكون . .

ومادمنا بصدد الحرام فسوف نبدأ بأشياء داخلة فى الحرام . . وأصبحت الآن ـ وفقا للعرف ـ شبه مباحة . مثل النساء العاريات الكاسيات اللاتى ملأن الشوارع وأماكن العمل . .

بعض الناس يسألنى أليست النظرة بالنسبة للمرأة الغريبة حراما ؟ فأقول نعم . . فيقول فماذا نفعل فى النساء اللاتى يملأن الشوارع ؟ إننا نرتكب عشرات الذنوب فى الطريق العام . أو عندما ننتقل من مكان إلى آخر . . وأقول له : هناك فرق بين محظور يقع على راءٍ . . وراءٍ يقع على محظور . .

كيف ؟ لنفرض إننى جالس فى مكان ما ، والمحظور هو الذى يمر علىّ دون أن أقلب النظر فيه ، فى هذه الحالة لا إثم علىّ . . ولكن إذا قلبت نظرى ووجهته ورأيت وتفرست فى

الشيء المحظور أو الحرام فأكون أنا الذى أعرض نفسى على الحرام . هنا يقع الذنب .

لنفرض اننى جالس فى مكانى . . ومرت أمامى امرأة مستهترة ولم أتعمد النظر اليها فلا ذنب . . ولكن يحدث الذنب إذا تعمدت النظر اليها .

وبالنسبة لخروج المرأة وعملها والذين يقولون أنه أصبح واقعا بحكم الضرورة . . نقول إننا يجب أن نحدد معنى الضرورة . . إنهم يقولون ان المرأة تعمل . . لتشارك الرجل فى الانفاق ، وإن تكاليف المعيشة فى هذه الأيام صعبة.ونقول لهم : إن المجتمع الذى يتشدق بهذا الكلام فيه رجال بسطاء لا تعمل نساؤهم . . ومع ذلك فهم يعيشون سعداء . . إذن هى حجة باطلة ولا توجد أى ضرورة لعمل المرأة . . وعليه فخروج المرأة للعمل حرام وإن أقرته الدنيا كلها . .

الله سبحانه وتعالى قد خلق المرأة لأسرتها وزوجها وأولادها . . ولا يقول أحد أو يدعى ان المرأة التى تبقى فى بيتها هى امرأة بلا عمل . والحقيقة أن لدى المرأة عملا أكثر من الرجل فلو إنها أخلصت وراعت بيتها وأولادها . . لما وجدت دقيقة واحدة من الفراغ .

ولكن الناس تتحدث عن (المستوى) وكيف أن الرغبة فى مستوى حياة أعلى تفرض أن تعمل المرأة ! ! ونقول لهم بأن كل إنسان يجب أن يرتب حياته على قدر امكانياته . . فالذى يريد

أن ينمى معيشته عليه أن ينمى حركته ويضاعف من نشاطه بأن يعمل فى وظيفة إضافية فى وقت فراغه ويترك زوجته للمهمة التى أوكلها الله إليها وهى تربية النشء تربية صالحة . ومراعاة زوجها !!

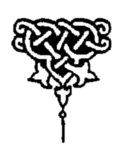
لقد أردت أن أثير هذه القضية فى أول الحديث عن الحرام . . لأن بعض الناس يتخذون من الزمن أو ما يسمونه تطور الزمن حجة فى تحليل الحرام ، بل إن بعض الناس يقول إن العبادات الآن وبعد تقدم المدنية والحضارة لم يعد الوقت يسمح بها . . وأن عدم الاختلاط وغير ذلك من مبادىء الاسلام . . قد انتهى وقته وأصبح الزمن متطورا ! ونقول لهؤلاء فى كل أمر من الأمور وليس فيما يختص بقضايا المرأة فقط .

إن الحرام سيظل حراما إلى يوم القيامة بلا تعديل ولا تبديل بشرى لما شرعه الله . . فالله سبحانه وتعالى هو الذى شَرَّع الحرام والحلال وعنده علم الدنيا والآخرة . . أى انه لا شىء مما يحدث الآن ، أو سيحدث فى المستقبل كان غائبا عن علم الله تبارك وتعالى . . عندما شرع وقال إفعل ولا تفعل . . ربما كانت الأشياء غائبة عن علم البشر . .

ولذلك فإن كل علم بشرى ناقص وكل قانون بشرى إن عالج مشكلة أثار مشكلات ، ومهما كان محكما فى نظر واضعيه لا يخلو من ثغرات . . لماذا ؟ لأن البشر علموا أشياء وغابت عنهم أشياء كثيرة . . فعلمهم بالمستقبل غير موجود . . ولذلك

فإن القوانين البشرية لا تكاد توضع حتى تعدل . .

ثم يأتى بعد التعديل تعديل ثم تعديل . . حتى تصبح كالثوب الذى لا يستر شيئا من كثرة (الرقع) التى تملؤه . . ولكن تشريع الله سبحانه وتعالى لا يتغير ولا يتبدل . . لماذا ؟ لأن الله علمه يشمل الكون كله . . ولذلك فلن يفاجأ تبارك وتعالى بحدث يقع لم يكن فى الحسبان . . أو شيئا يتم لم يكن مقررا له أن يتم . . فالكون بأحداثه كلها من خلق الله سبحانه وتعالى . . ولا شىء يقع فى كون الله إلا بمراد الله . .



أن ينمى معيشته عليه أن ينمى حركته ويضاعف من نشاطه بأن يعمل فى وظيفة إضافية فى وقت فراغه ويترك زوجته للمهمة التى أوكلها الله إليها وهى تربية النشء تربية صالحة . ومراعاة زوجها !!

لقد أردت أن أثير هذه القضية فى أول الحديث عن الحرام . . لأن بعض الناس يتخذون من الزمن أو ما يسمونه تطور الزمن حجة فى تحليل الحرام ، بل إن بعض الناس يقول إن العبادات الآن وبعد تقدم المدنية والحضارة لم يعد الوقت يسمح بها . . وأن عدم الاختلاط وغير ذلك من مبادىء الاسلام . . قد انتهى وقته وأصبح الزمن متطورا ! ونقول لهؤلاء فى كل أمر من الأمور وليس فيما يختص بقضايا المرأة فقط .

إن الحرام سيظل حراما إلى يوم القيامة بلا تعديل ولا تبديل بشرى لما شرعه الله . . فالله سبحانه وتعالى هو الذى شرَّع الحرام والحلال وعنده علم الدنيا والآخرة . . أى انه لا شىء مما يحدث الآن ، أو سيحدث فى المستقبل كان غائبا عن علم الله تبارك وتعالى . . عندما شرع وقال إفعل ولا تفعل . . ربما كانت الأشياء غائبة عن علم البشر . .

ولذلك فإن كل علم بشرى ناقص وكل قانون بشرى إن عالج مشكلة أثار مشكلات ، ومهما كان محكما فى نظر واضعيه لا يخلو من ثغرات . . لماذا ؟ لأن البشر علموا أشياء وغابت عنهم أشياء كثيرة . . فعلمهم بالمستقبل غير موجود . . ولذلك

فإن القوانين البشرية لا تكاد توضع حتى تعدل . .

ثم يأتى بعد التعديل تعديل ثم تعديل . . حتى تصبح كالثوب الذى لا يستر شيئا من كثرة (الرقع) التى تملؤه . . ولكن تشريع الله سبحانه وتعالى لا يتغير ولا يتبدل . . لماذا ؟ لأن الله علمه يشمل الكون كله . . ولذلك فلن يفاجأ تبارك وتعالى بحدث يقع لم يكن فى الحسبان . . أو شيئا يتم لم يكن مقررا له أن يتم . . فالكون بأحداثه كلها من خلق الله سبحانه وتعالى . . ولا شىء يقع فى كون الله إلا بمراد الله . .





ثبوت أحكام الله

إذن كل ما يقال من أن الزمن قد تغير . . أو أن الظروف قد اختلفت أو غير ذلك من الترهات والأباطيل التى نسمعها . . ليحلوا ما حرم الله . . كل هذا كلام فيه معصية وإثم . . فالحرام هو الحرام وسيظل حراما حتى قيام الساعة . . والمرأة لها وظيفتها التى حددها الله لها . . فلا يأتى إنسان ويتعلل بالظروف والزمن . . لأن الله جل جلاله أعلم بالظروف والزمن منا جميعا وأوامره ونواهيه صالحة فى كل زمان ومكان .

لقد رأينا ولازلنا نرى ماذا فعل خروج المرأة من البيت . ولقد تكلمت عن هذا أكثر من مرة وقلت إذا كانوا يقولون إن عمل المرأة زيادة فى الانتاج . . فقد أضاع عملها أجيالا وسيضيع أجيالا . . فالشباب الذى لا يجد فى طفولته أما تحنو عليه ينشأ وقد ملأت قلبه القسوة والمرارة . . وأحس انه اهمل وأنه لم يعش طفولته إلى آخر ما نراه هذه الأيام . . وإذا كنا نشكو من الإدمان بين الشباب . . ومن ارتفاع معدل الجريمة وغير ذلك . . فلنعلم ولنثق أن سبب هذا الانحراف كله . . إن المرأة أهملت أولادها وذهبت لتعمل بحجة واهية هى زيادة الانتاج !! ولكنها بدل أن تزيده أضاعت كل شىء ولم تجن شيئا !!

إن ما نشاهده الآن من عقوق للآباء والأمهات وما نراه من

ذيوع دور المسنين الذين يودعون فيها ، هو حصاد ذلك الخروج التعس الذى قطع الأواصر وحجر القلوب وأشاع التفكك فى الأسرة والمجتمع .

فإذا انتقلنا إلى قضية الزنا ـ وهى قضية خطيرة جدا ـ نجد أن بعض من ختم الله على بصائرهم . . ينظرون ببساطة إلى قضية الزنا . . بعضهم يقول إنها حرية شخصية !! نقول لكل من يدافع عن هذه النظرية ـ رجلا كان أو امرأة ـ ان مسألة الأنساب مسألة خطيرة جدا .

وإذا كانت أحداهن تريد أن تجرب هذه المسألة فلتأت لزوجها ولتقل له ولو كذباً انني غير متأكدة أن هذا الطفل منك . . لترى ماذا يمكن أن يحدث ؟ إن حب الأب سينقلب إلى كره ، وعاطفته تنقلب إلى نار تحرق الطفل أو الطفلة . . وبعد أن كان هذا الأب يحاول جاهدا أن يوفر لابنه أو ابنته كل أسباب التقدم فى الدنيا . . فإنه سيلقيه وأمه فى الشارع ، وتكون النتيجة هى إنهيار الأسرة وضياعها . وإذا تفشت هذه المسألة فى المجتمع . . ضاع المجتمع كله وانهدم وهامت الأطفال فى الشوارع لا تجد من ينفق عليها . . وأصبحت الحياة نفسها بلا قيمة ولتهدد بقاء النوع وانتهى فى مائة سنة أو أكثر من ذلك قليلا .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى لاستمرار النوع بالتناسل . . ووضع فى الإنسان بل وفى الحيوان ملكات وغرائز تجعله يرعى ابنه ويرضعه ولا يؤذيه . . إلى آخر ما نراه من

عريزة الأمومة فى الحيوانات .. وفى الحيوان تكون غريزة الأمومة هى الغالبة .. لأنه لا أحد يعرف من الأب ؟ ولكن فى الإنسان الأمر يختلف .. والله سبحانه وتعالى قد جعل الأب راعيا للأسرة قائما عليها . يحيط زوجته وأولاده بكل العناية .. ويسعى ويكدح ليوفر لهم كل احتياجاتهم ..

ولقد جعل الله التناسل ووضع ما فيه من رغبة وجعل الحياة تقوم عليه حفظا للنوع .. وعندما يكون التناسل بالغريزة وحدها نجده يؤدى مهمته .. فكل حيوان مثلا إذا جاء موسم التزاوج .. فإن الأنثى هى التى تطارد الذكر وهى التى تغريه .. فإذا حملت ثم حاول الذكر أن يقربها .. تقوم معركة كبيرة بينهما وربما أصابت الأنثى الذكر بجراح ..

ذلك فى الحيوان الذى يعيش بالغريزة ..





أما الإنسان فإننا نجده قد حول عملية الجنس هذه عن هدفها .. وجعلها متعة خاصة فى ذاتها .. وليست متعة للإنجاب فقط .. لأن التدخل والاختيار البشرى أفسد كل شيء .. تماما كما يفسد باقى الغرائز البشرية ..

وعلى سبيل المثال .. إنك إذا وضعت أمام الحيوان كمية من البرسيم فإنه يأكل منها حتى يشبع ، ثم بعد ذلك لا يضع عودا واحدا فى فمه مهما أغريته .. ولكن الإنسان المحكوم بالاختيار يأكل حتى يشبع ، وعندما يبدأ مغادرة المائدة نقول له أنت لم تأكل الحلو ولابد أن تأكله ، فيأكل وهو شبعان .. ثم نقول له هناك حلوى لابد أن تذوقها فيفعل ويظل هكذا .. يحشر فى جوفه حتى يصاب بالتخمة !!

إذن عملية الزنا عملية خطيرة جدا .. تهدم الأسرة التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى .. فالمجتمع الإسلامى مجتمع أسرة .. فيه صلة الرحم ، وفيه تكافل الأقارب ، وفيه الزوج والزوجة والأولاد .. فإذا انهدمت الأسرة انهدم المجتمع وضاع ..

بعض الدول الإلحادية قامت بمحاولة لإباحة الزنا ..

وألغت الزواج . . وقالت إن الطفل الذى يأتى لا ينسب لأبيه أو لأمه . . بل يكون طفل الدولة . . واعتقدت هذه الدولة الإلحادية انها بذلك تستقطب الشباب وتعطيه الحرية . ولكن ماذا كان رد فعل الشباب المضَلّل ؟ لقد رفضوا هذه التجربة . . التى لم تستمر سوى شهور معدودة . . وعاد الزواج مرة أخرى كما شرعه الله . . واضطرت هذه الدولة الشيوعية إلى الإعتراف بالزواج وبنسب الأطفال، لآبائهم .

إن الزنا ـ فضلا عن إنه يهدم المجتمع تماما ، ويضيع العاطفة التى تجعل الأب ينفق على إبنه ويربيه ويعلمه ـ يجعل الأبناء ينشأون مجرمين . . غير منتمين لشيء لا لأسرة ولا لمجتمع . . وإذا كان اشتغال المرأة ـ وهى نصف الأسرة ـ قد ضيع أجيالا من الشباب ، فإن الزنا يضيع أجيالا أخرى . . يهدم أهم مقومات المجتمع وهى الأسرة . .

هذه هى الجريمة الخطيرة يحاولون تبريرها بأنها حرية شخصية !! ولقد وضع الله سبحانه وتعالى لها عقوبة صارمة وهى الرجم حتى الموت . . لتتساوى مع عظيم ضرر هذه الجريمة .

الربــا .. والخراب الاقتصــادى

لماذا حرم الله سبحانه وتعالى الربا ؟ مع أن العالم كله يتعامل به وتنمو أمواله بالربا . . نقول إن انتشار الربا فى هذه المجتمعات ليس مبررا لكى نتعامل نحن به . . فديننا قطع بحرمته وجّرمه وكل من يتعامل به سائر إلى كارثة مالية . فالربا يزيد الفقير فقرا ويزيد الغنى غنى . . الربا معناه أن المال ينمو بلا عمل من صاحبه كيف ؟ أنت تملك ألف جنيه تعطيها لرجل فيعيدها لك بعد فترة محددة ألفا ومائة أو ألفا ومائتين . . مع أن وظيفة المال فى الإسلام هى أن يستخدم فى التنمية فى عمارة الأرض . .

الله سبحانه وتعالى أمر الإنسان بعمارة الأرض . . والمال كما يجب أن نعلم ليس رزقا مباشراً ، إنه رزق غير مباشر . . بمعنى إنه إذا كان عندك جبل من الذهب أو كميات من الأوراق المالية وكنت جائعا . . فأنت لا تستطيع أن تأكل منه شيئا . . وإن كنت عطشانا فإنك لا تستطيع أن تشرب منه شيئا . . ولكنه يُدفع ثمنا للأشياء . . أى يأتيك بما تريده من رزق مباشر صالح للأكل أو الشرب . .

والمال فى الدنيا مال الله وليس مال أحد . . نحن نقول مال فلان مجازا . . ولكنه فى الواقع مال الله . . ولو كان مالك لأخذته معك عندما تموت . . ولو كان مال غيرك لأخذه

معه . . فإذا كنا فى الدنيا نَدَّعِى ملكية المال . . ورضى الله بهذا الادعاء . . فإن ذلك ليعطينا الحافز الشخصى على العمل والانتاج والبناء . . يقول الله تعالى مقرراً ملكيته سبحانه للمال :

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

(من الآية ٣٣ سورة النور)

إن الله سبحانه وتعالى . . يعطى المال وصفه الصحيح بأنه مال الله وإن أحدا لا يملكه . . والدليل أننا نتركه فى الدنيا ونمضى وينتهى الخلق كلهم ، ويبقى المال وكل ما صنعه الناس فى الدنيا ليدمر قبل أن تقوم الساعة . .

فالمال هو وسيلة لعمارة الأرض . وأنت حينما تعمر الأرض ـ أردت أم لم ترد ـ تفتح أبواب الرزق للناس . . فحين يوحى الله لك بخاطر أن تكون صاحب عمارة ويحببك فيه . . تكون قد فتحت أبواب الرزق ـ وإن لم تقصد ذلك ـ لمئات العاملين . . من المهندسين والنجارين والحدادين والسباكين وغيرهم من أصحاب الحرف. هؤلاء كلهم أخذت مالك وأعطيته لهم وأنت مسرور وسعيد . . وهم حولوا هذا المال على هيئة مبنى أو عمارة . . جمدوه على هيئة أسمنت وحديد وطوب . . ولكن هذا المال فتح أبواب الرزق لمجموعة من الناس .

وظيفة المال فى الحياة

إن هدف المال فى الإسلام هو أن يفتح أبواب الرزق للناس ليعملوا ويكسبوا حلالا ليحدثوا رواجا فى المجتمع .. ماذا يحدث بالنسبة للتعامل بالربا ؟ ولنقرب الصورة أولا من الأذهان نقول : من الذى يقترض ؟ الذى يقترض هو الفقير أو المحتاج .. والذى يقرض أو يعطى هو الغنى .. وهذا أمر تتساوى فيه الدول الفقيرة والأفراد الفقراء .. الفقير لم يأخذ المال بقيمته الحقيقية بل أخذه بأكثر من قيمته بعشرين فى المائة .. فإن أقام بهذا المال مشروعا .. فهذا المشروع يبدأ بشكل معوّق لماذا ؟ لأنه اشترى المال بأعلى من ثمنه .. وعندما يبدأ المشروع فى الانتاج لايَدِرُّ عليه ربحا .. لأنه لوربح عشرين فى المائة فكأنه لم يربح شيئا لاستهلاك هذا الربح فى الفائدة الربوية .. ولو ربح خمسة عشر فى المائة ، فكأنه خسر خمسة فى المائة .. وفى هذه الحالة سيعود المشروع على الفقير بالخسارة ، بينما يتخم الغنى الذى لا يقوم بأى نوع من العمارة فى الأرض ، لأنه يتخذ المال كسلعة .. والله سبحانه وتعالى لا يريد ذلك ، بل يريد المال لعمارة الأرض ..

إن النتيجة التى وصل إليها العالم هى أن الدول الغنية أصبحت تدين الدول الفقيرة ببلايين الدولارات ، وكلما مر عام زادت ديون الدول الفقيرة وبالتالى ازدادت فقرا حتى تصبح عاجزة عن الدفع .. وأصبح العالم يبحث عن حل

لجدولة الديون أو غير ذلك أو اسقاط جزء منها . . إلى آخر ما نسمعه فى هذه الأيام وليس هناك حل . . ـ كما قال خبراء الاقتصاد فى العالم ـ إلاّ بجعل سعر الفائدة صفراً .

هذا هو الربا ، وهذا ما أتى به للعالم . . الدول الفقيرة تحمل على ظهورها ديونا لا تعد ولا تحصى . . وتكون النتيجة إنها تضطر لدفع كل دخلها فوائد لهذه الديون . . ثم لا تجد ما تنفقه على ما يحتاجه شعبها من مشروعات التنمية أو حتى الغذاء !! بما يعنى الدخول فى حلقات فقر تزداد كل عام . . وهذا ما حذرنا الاسلام منه . . أن يتحول المال إلى وظيفة . . حتى لا يزداد الفقير فقرا والغنى غنى ؟

وهل جاء الربا للعالم إلا بالفقر ؟ إن العالم الذى اضطر الى اباحة الطلاق مقتديا بالإسلام . . بعد أن ثبت له فشل تشريع تحريمه عندما عم الفساد ـ سيضطر أيضا الى إلغاء الربا اضطرارا . . ولكن بعد أن تحدث أزمة اقتصادية طاحنة ترج العالم رجا . . ولكن الربا سيظل محرما أحله الناس أو حرموه . . وكل فائدة ثابتة هى ربا ، ومادام هناك نظام اسلامى للاستثمار . . فلماذا لا نطبقه ؟ إنه سيعطينا الخير وينجينا من الكوارث ، لأنه تشريع الله الذى لا يأتيه الباطل لا من بين يده ولا من خلفه .

الطعام بين الحلال والحرام

أما بالنسبة لما حُرِّمَ من طعام وشراب فإننا نجد أن الله سبحانه أحل طعاما ، وحرم طعاما ، وأحل شرابا ، وحرم شرابا .. وتدخل الإنسان فى الطعام والشراب فأفسدهما وجعل الحلال حراما .. كما جاء فى قوله الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٦٧)

(سورة النحل)

الله سبحانه وتعالى يرينا أن هناك بعض ما خلقه من طعام كرزق حسن .. أخذه الإنسان وجعل منه الرزق الحرام ! مثال ذلك العنب والبلح .. خلقهما الله تبارك وتعالى فاكهة حلوة المذاق طعمها لذيذ فيها من الفوائد للإنسان الكثير .. هذا هو الرزق الحسن .. أخذ الإنسان هذه الفاكهة وخمرها بطرق معينة ليخرجها عن هدفها الرئيسى ـ وهو الرزق الحسن ـ ويحولها إلى رزق حرام .. خمر تذهب العقل !

لماذا فعل الإنسان هذه الجريمة ؟ وما الذى جعله يأخذ الرزق الحسن ويحوله إلى رزق حرام ليفسد فى الأرض ؟ إنها

النفس الأمارة بالسوء . . التى تجعل الإنسان يفسد ما خلقه الله . .

بعض الناس يسألنى هل التليفزيون حرام ؟ هل السينما حرام ؟ أقول إن هذه الآية تنطبق على كل شيء فى الدنيا يفسده الإنسان . . التليفزيون فى ذاته ليس حراما . . خصوصا إذا استخدم فى تعليم الدين والقرآن واذاعة الأحاديث النبوية وغير ذلك مما يصلح به أمر الناس دنيا وآخرة . . أما إذا استخدم استخداما خليعا فإنه يصبح حراما . .

يسألنى البعض الآخر هل الغناء حرام ؟

وقبل أن أجيب على هذا السؤال أقول : هل الصوت الذى يغنى يلتزم الجدية فى غنائه أم يتثنى لإثارة غرائز الناس ؟ هل كلمات الأغنية وقورة ولها معنى وهدف سام ؟ وهل الموسيقى أو اللحن يتفنن فيه الموسيقار ليكون اللحن أقرب ما يكون إلى الرقص منه إلى الموسيقى ؟

لقد سألونى فى العام الماضى عن فوازير رمضان ورأيى فيها . . وقلت إن المفروض أن تكون هذه الفوازير اختبارا صغيرا للذكاء . . لغز وتحاول أن تصل إلى حله . . إذن فما هى علاقة الفزورة بكل ما يراه الناس على الشاشة الصغيرة من رقص واستعراضات وغناء ، وما علاقة ذلك باختبار الذكاء ؟ طبعا لا علاقة بين كل ما يرى الناس وبين الفوازير . .

فإذا تحدثنا عن السينما . . فالسينما اختراع علمى إذا استخدم فى الأفلام التسجيلية أو التعليمية وتصوير الأحداث ونقلها . . أو شرح الدروس والتعليم فبلاشك إن هذا حلال ومطلوب . . ولكن إذا استخدمت فى غير ذلك . . فإنه يخرجها عن الحلال ويدخلها فى الحرام . تماما ككل شىء يستخدم فى أهداف خارجة . .

إذن المسألة ليست حلالا أو حراما على اطلاقها . . فهناك أشياء تحدد حرمتها طريقة استخدامها . . فإذا استخدمت بطريقة تتناسب مع تعاليم الله فهى حلال . . وإذا استخدمت بطريقة تتنافى مع تعاليم الله فهى حرام . . ومن يستخدمها هو الذى يحدد . . تماما كالسكين تصلح للقتل . . وتصلح لأشياء نافعة كثيرة فى البيت . . واليد التى تستخدمها هى التى تحدد .

ومن الأشياء التى حرمها الله سبحانه وتعالى الخمر والميسر والخنزير . . وهى ثلاثة محرمات كبيرة لابد أن نتحدث عنها . . إذا تحدثنا عن الخمر فهى أم الكبائر . . إنها التى تيسر كل معصية وتدفع الإنسان إلى الشر وإلى القتل وإلى أشياء كثيرة . . لأنها تغيب العقل ، والعقل هو الميزان الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ومَيَّز به الإنسان للاختيار بين البدائل . . العقل البشرى هو الأمانة التى حملها الإنسان ليختار بها ، وعلى أساس الاختيار يكون الحساب . . والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة الأحزاب)

والله سبحانه وتعالى جعل العقل ونضجه وممارسته لمهمته فى الحياة هو أساس الحساب فى الآخرة .. ولذلك رفع القلم عن الإنسان حتى يبلغ النضج العقلى .. فالطفل لا يكلف ولا يحاسب إلا إذا نضج عقله .. وكيف نعرف إن عقله قد نضج ؟ عندما يصبح صالحا لإنجاب مثله .. ومادام غير صالح لإنجاب مثله لا يحاسب .. لأن أساس الحساب ـ كما قلنا ـ نضج العقل .. والمجنون لا يحاسب ولا يكلف ، لأن عقله قد ستر .. فهو لا يستطيع أن يميز بين البدائل ..

وهكذا جعل الله تبارك وتعالى العقل أداة الاختيار فى الدنيا ، وأداة الحساب فى الآخرة حيث يحاسب المرء على تصرفاته .. وقد يقول بعض الناس وما ذنب الإنسان أن يخلق مجنونا ؟ نقول إن الله سبحانه وتعالى قد عوض المجنون بأشياء كثيرة . فالمجنون يفعل ما يشاء دون أن يحاسبه أحد .. تجده يضرب إنسانا .. والإنسان المضروب يضحك ويبتسم .. يقول أى شىء ويسب الناس فلا يحاسبه أحد .. ويوم القيامة يدخل الجنة بلا حساب .

الله جل جلاله ـ لعدالة الحساب ـ يريد أن يبقى العقل متيقظا لا يستره شىء ولا يغيبه شىء .. حتى يستطيع أن يؤدى مهمته فى الحياة .. إن مهمة العقل أن يتأمل فى هذا الكون ويتدبر فى آيات الله ، حتى يصل إلى أن لهذا الكون إلها خالقا عظيما .. مهمته أن يناقش بالحجة والبرهان .. حتى يصل إلى يقين وجود الله ..

وعندما يرسل الله الرسل .. فإن مهمة هذا العقل أن يستقبل هؤلاء الرسل .. فإذا قالوا له ان الله أرسلهم وجاءوه بالبرهان على صدق بلاغهم عن الله .. صدقهم وآمن معهم ..

إن مهمة العقل أن يناقش كل كافر ملحد يريد أن ينشر الكفر والإلحاد بالحجة وأن يبطل حجته .. مهمته أن يعقل العبادة فيستطيع أن يؤديها كما يريدها الله سبحانه وتعالى ، وأن يعلم ما يقول . وأن يحرص على منهج الإيمان ..

هذه هى بعض مهام العقل الذى خلقه الله سبحانه وتعالى من أجلها .. فإذا شرب الإنسان الخمر تعطل عقله عن العمل .. فلا يعرف كيف يصلى .. ولا كيف يذكر الله .. ولا يدرى ماذا يقول .. والله سبحانه وتعالى فى أول مرحلة من مراحل تحريم الخمر أراد أن يكون بالتدريج .. ليخرج الناس من إلف العادة تدريجيا فلا يشق عليهم ويكون التكليف سهلا مقدورا عليه .. فالله برحمته لا يريد أن يشق على أحد. نقول إنه فى أولى مراحل تحريم الخمر نزلت الآية الكريمة :


﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة النساء)

لأن السكران لا يعرف ماذا يقول .. ولذلك عندما أدى الصلاة كان يقرأ آية « قل يا أيها الكافرون » .. فقال قل

يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون - والعياذ بالله - فنزلت هذه الآية الكريمة . . فإذا كان هذا يحدث فى الصلاة . . وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(لا يكتب للمرء من صلاته إلا ما عقل) .

يأتى الإنسان بالخمر ليفسد أداة الاختيار ويعطلها ويفسد أداة تعقل الصلاة والتسبيح والذكر وتعقل العمل والتعامل وغير ذلك . . ويعطل أداة تدبر آيات الله فى الكون وتدبر منهج الله .

الله سبحانه وتعالى يريد آلة الاختيار فى الإنسان . . سليمة مائة فى المائة . . فتأتى الخمر لتفسدها وتفسد مهمة الإنسان فى الكون . . أليس هذا فسادا وفسادا كبيرا ؟

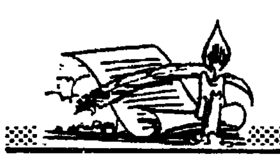
إذا انتقلنا من الخمر إلى الميسر . . نجد فسادا آخر ، فالمال هو عصب الحياة . والإنسان يشقى ويتعب للحصول على المال حتى ينفقه فيما يفيده على أسرته وأولاده . . والإسلام قد وضع مبدأ هاما . . هو إنه لا مال بدون عمل . . ذلك ان المال فى الإسلام كما هو معروف لابد أن يكون نتيجة عمل . . حتى قيل إنه إذا لم يوجد عمل . . فليحفر الناس بئرا وليردموها فى اليوم التالى . . وذلك حتى لا يعتادوا أن يأخذوا المال بلا عمل . . فلا يعملوا بعد ذلك أبدا . . وينهدم أساس من الأسس الاقتصادية . . ولكنك تجد بعض الناس يذهبون إلى شقة واحد منهم وهم أصدقاء أو يدّعون إنهم أصدقاء بينما كل واحد منهم يريد أن يأخذ كل ما فى جيوب الآخرين من المال . . نتيجة الميسر أن الناس تحترف كسب المال

بلا عمل . . فتهمل مصالحها وأولادها ، وتسهر على موائد القمار . .

أكثر من ذلك نجد المقامر على استعداد لبيع أى شىء حتى شرفه . . يخيل له أنه سيربح وسيكسب . . فيقترض ليعوض ما خسره . . ويكتب شيكات بدون رصيد وتكون نهايته السجن . . يترك أولاده وزوجته يتسولون وينفق المال على القمار . . هو ومن معه تحولوا إلى مجموعة من العاطلين الذين يريدون كسب المال بلا عمل . . وتكون النتيجة أن تنتشر العداوة والبغضاء بين المقامرين . . لأن كل واحد منهم قد أخذ مال الآخر وهو يريد أن يسترجعه منه . . وهكذا ينقلب المجتمع إلى مجتمع عاطلين متشاحنين. الأمر الذى يؤدى إلى الفساد فى الأرض .



ولماذا الخنزير ؟



تحريم لحم الخنزير . . قضية أثارت جدلا كثيرا . بعض الناس يتساءل لماذا حرم الله لحم الخنزير ؟ وبعضهم يقول إذا كان الله قد حرم لحم الخنزير فلماذا خلقه ؟

نقول لهؤلاء جميعا إن الله قد حرم لحم الخنزير ، ومادام الله قد حرمه فلن نأكله سواء عرفنا الحكمة أم لم نعرفها . وإذا كانت الأبحاث الحديثة قد أثبتت إن لحم الخنزير يصيب الإنسان بالدودة الشريطية . . وإنه يكون فى الجسم كمية من الكولوستيرول أضعاف أضعاف ما تكونه اللحوم الأخرى . . وأنه يرهق المعدة فى الهضم وغير ذلك ، نقول مادام الله قد حرمه فنحن لا نسأل عن العلة . فإذا جاء العلم بما يرينا إعجاز القدرة الإلهية . . فنحن نقول سبحان ربنا الذى وقانا شر هذا قبل أن يعلمه البشر .

أما لماذا خلق الله الخنزير وحرم لحمه . . نقول لهم ومن الذى قال إن الله خلق الخنزير ليؤكل ؟ أكل ما خلقه الله يؤكل ؟ لقد خلق الله الخنزير لمهمات أخرى غير الأكل . . خلقه ليجمع كميات هائلة من الجراثيم التى تتكاثر فى القمامة . . خلقه ليخلص الدنيا من كميات من القمامة يأكلها . . ربما تكون الطريقة الوحيدة لتطهير القمامة هى فى بطن الخنزير . . خلقه لمهام أخرى متعلقة بالجراثيم والقمامة

وليقى الإنسان مضارها .. ولكن الإنسان أخرجه من شىء نافع وحوله الى شىء ضار .

هذا بعض ما حرمه الله علينا مما فيه فساد الكون .. سواء ما يفسد المجتمع أو ما يهدم الأسرة أو ما يحطم اقتصاد العالم ويقضى على الشعوب الفقيرة .. أو يذهب العقل الذى هو أداة الاختيار ، وأداة الهداية إلى الله سبحانه وتعالى .. أو ما يضيع الأسر والأطفال ويشردهم ..

وهكذا نرى ان الحرام هو فساد أراد الله أن يمنعه عن الإنسان رحمة به .. وحتى لا يعم الفساد والضرر فى الأرض فتصبح الحياة مليئة بكل العورات والشرور والأمراض .. وتصير الحياة ضنكا تتعذر معها الحياة ..





الفصل الرابع



الانســـان والاختيــــار

كلما تقدم الزمن وامتلأت الدنيا بالفسق .. ذاع الحرام بين الناس حتى يصبح عرفا .. ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

(يأتى على الناس زمان المتمسك فيه بسنتى عند اختلاف أمتى كالقابض على الجمر) .

وقد ورد فى الأثر : (فى زماننا هذا تحق النار على من يفرط فى عُشر دينه . ويأتى زمان تجب الجنة لمن يحافظ على عُشر دينه) .

ويقول رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه :

(يأتى على الناس زمان وجوههم وجوه الآدميين . وقلوبهم قلوب الشياطين ، سفاكين للدماء . لا يرعون عن قبيح . وأن بايعتهم واربوك (خدعوك) . وإن إئتمنتهم خانوك . صبيهم عارم (خبيث شرير) . وشابهم شاطر . وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر . السنة فيهم بدعة . والبدعة فيهم سنة . وذو الأمر منهم غاو (ضال) . فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم . فيدعوا أخيارهم فلا يستجاب لهم .

وهكذا نرى أن تسلسل الزمن والأحداث فى علم الله ، علمه لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله أخبرنا به ، فلا يجب أن نعتقد أن انتشار الحرام هو تطور مفاجىء فى الحياة ..

إن الذى أدى إلى ذلك عدة عوامل .. أولها أن الجزاء محجوب عنا ، فنحن نقدم على الحرام لأننا لا نستحضر الجزاء فى قلوبنا وعقولنا .. ولو استحضرنا الجزاء ما أقدمنا على الحرام أبدا .

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الجزاء غيبا لتكون الطاعة صادرة عن إيمان قوى ، وليس عن رؤية ومشاهدة .. ولكن لو أننا جئنا بأجمل فتاة فى العالم .. ثم جئنا بشاب يمتلىء صحة وفتوة ، وقلنا هل تعجبك هذه الفتاة ؟.. سيقول نعم .. فنقول له هذه شقة فاخرة سنعطيها لك ، وهذه الفتاة ستبقى معك ما شئت .. ثم بعد ذلك نفتح له بابا ليرى جهنم .. ونقول له بعد أن تقضى ليلتك سنلقى بك إلى هنا لتبقى خالدا فيها .. أكان يُقدم على ذلك ؟.. طبعا لن يقدم .

كذلك لو جئنا بإنسان وقلنا له هذا مال حرام .. خذ منه ما شئت وانفقه كما تريد ، ثم بعد ذلك فتحنا عليه بابا فرأى نفسه فى جهنم وكل ما أكله أو شربه أو لبسه موقد بالنار داخل وحول جسده .. أكان يمكن أن يقرب هذا المال ؟.. طبعا لا .. ولكن لأن الجزاء مخفى عنا فإننا نرتكب الحرام . ولو إستحضر كل واحد منا الجزاء ساعة ارتكابه المخالفة .. ما أقدم إنسان على فعل الحرام أبدا ..

الحرام جاء من الاختيار



هذه هى الحقيقة التى نحن غافلون عنها . . أما الحقيقة الثانية فإن الإنسان أخذ الطريق إلى الحرام من خلق الله له مختارا . . فلو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يخلقنا طائعين . . ما استطاع واحد منا أن يرتكب معصية . . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ ﴾

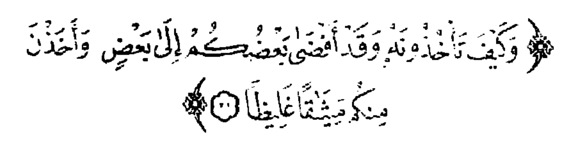
(سورة الشعراء)

والله سبحانه وتعالى هو الذى خلقنا قادرين على المعصية . . وخلقنا كذلك لأن كونه كله يأتيه عن قهر . . كونه كله مقهور على الطاعة . . يسبح ولا يتوقف عن التسبيح . . إنه سبحانه وتعالى يريد خلقا تأتيه عن حب لا عن قهر . . يريد خلقا قادرا على أن يعصى ولكنه يأتى طائعا باختياره . . يقول يارب جعلت لى شهوة عاجلة . . ولكن حبى لك أقوى وأكبر من كل متع الدنيا . . لذلك تركت هذا كله وجئتك وأنا قادر على ألا أجىء . . جئتك عن حب . . لأن حبى لك أقوى وأكبر من الدنيا وما فيها . . هذا ما يريده الله سبحانه وتعالى من عباده . . وإلا لما خلقهم مختارين قادرين على الطاعة وقادرين على المعصية .

لقد كان إخفاء الجزاء عنا ضروريا . . لأنه لو رأى إنسان منا الجزاء ما اقترب من معصية أبدا وما اقترب من حرام أبدا . . وبعض الناس يسأل : هل هناك درجات فى الحرام ؟ . . هل هناك درجات فى الذنوب ؟ . . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أبغض الحلال عند الله الطلاق) .

إذن هناك درجات فى الحلال . . هناك الحلال الذى يحبه الله وينتظره من عبده . . والحلال الذى يتقبله ولا يحبه . . كالطلاق . . ولم يقل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا آخر من الحلال يبغضه الله سبحانه وتعالى . . لأن الطلاق هدم للأسرة ولأنه ميثاق غليظ بين الرجل والمرأة .

يقول الله سبحانه وتعالى عن العلاقة التى تربط المرأة بالرجل :


﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾

(سورة النساء)

فالذى بين الزوج وزوجته ميثاق غليظ وكيف لا يكون غليظا وقد أحل لهم ما حرم الله . . لهذا فإن الله تبارك وتعالى لا يريدهما أن يفترقا . . إلا إذا كانت الحياة بينهما مستحيلة . . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أبغض الحلال عند الله الطلاق) . . أى أنه إذا كان هناك شيء من الحلال يبغضه الله فإن الطلاق أبغض .



الحرام كبائر .. وصغائر

أمّا الحرام فإنه يتدرج من الصغائر إلى الكبائر .. فمن الكبائر الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم وأكل الربا ، وشرب الخمر ، والتوَلى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

إن أول شيء فى الحرام أو الذنوب هو النية ، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

(سورة البقرة)

فمادام القلب لا يتعمد الإثم فلا يوجد إثم .. ولنضرب لذلك مثلا لنفرض أن إنسانا إعتاد أن يقسم على الناس بأن يجلسوا معه ليتناولوا قدحا من القهوة أو كوبا من الشاى .. هذه ليست يمينا معقودة .. والله جل جلاله يقول :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾

(من الآية ٨٩ سورة المائدة)

ومادامت ليس يمينا معقودة فلن يؤاخذ عليها وبالنسبة لما يُقترف من الذنوب .. هناك ذنوب كبيرة وذنوب صغيرة .. الذنوب الكبيرة هى الكبائر .. أما الذنوب الصغيرة فهى اللمم .. وهى الذنوب التى يغفرها الله تعالى للعبد كما جاء فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾

(من الآية ٣٢ سورة النجم)

وفسر اللمم بالقبلة ، والغمزة ، والنظرة ، كما فسر بأن اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم تاب مرتكبها .

ولكن لابد أن نعرف أن الإصرار على الصغيرة يحولها إلى كبيرة .. ولذلك لا يجب أن نصر على صغيرة .. أو نستخف بإرتكابها ، بل نستغفر الله ونتوب إليه .. وكما قلنا هناك درجات فى الحرام كبيره وصغيره ولكن القبيح - كبيرة وصغيرة - يكرهه الله سبحانه وتعالى .

ويجب أن نعلم أن الحساب يختلف بالنسبة للتعمد فى إرتكاب الذنب .. فلنفرض مثلا أن إنسانا سافر إلى أوربا ليدرس ، ودق جرس الباب ودخلت عليه فتاة مبتذلة وجلست معه فعليه إثم يحاسب عليه يوم القيامة ، ولكن لنفرض أن شابا قيل له ستدرس فى الخارج فأخذ يسأل عن عناوين الأماكن المشبوهه وعن الفتيات المشبوهات ويسجلها فى

مفكرته . . وبعد وصوله سعى إلى هذه الأماكن وإلى هؤلاء الفتيات . . يكون عليه ذنب أكبر لأنه سعى إلى الحرام . . وخطط ورتب وتعمد أن يصل إليه ، لم يصل إليه بالمصادفة بل كان بالتخطيط .

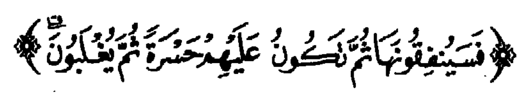
الله تبارك وتعالى حين طلب منا ان نبتعد عن الحرام يسر لنا ذلك . . لا يقول أحد إن الله تركنا تتجاذبنا الإغراءات دون أن يعيننا على الحلال . . إنك لن تجد إنسانا أراد أن يعيش حلالا إلا يسر الله له ذلك . . ولن تجد إنسانا إتجه إلى الحرام إلا اتعبه وأشقاه الله فى الدنيا . .

وأول التيسيرات لمن يطلب العيش الحلال أن الله جل جلاله يبارك له فى رزقه.وأول هذه البركة أن الرزق يفى بحاجته . . يذهب الى السوق فلا يجذب نظره أو انتباهه إلا ذلك الشيء رخيص الثمن الذى يتناسب مع دخله . . هذا الشيء يسعده ويأخذه إلى بيته وهو فرحان . فإن كان يريد طعاما فلا يغريه إلا السمك الصغير أو اللحوم الرخيصة ، فإذا ذهب بها إلى بيته فرحت بها زوجته وأولاده ، بينما الرجل الذى ماله حرام . . لا يقنع أبدا إلا بأغلى الأشياء ، إنه يرهق نفسه فى البحث عنها ويتكبد المشاق في الحصول عليها . . فإذا أخذها إلى بيته فقد لا تعجب بها زوجته وأولاده . . ويقولون له إنها غير جيدة وتكون النتيجة أنه ينفق المال . . ولا يجد قبولا . . وربما أدركت أنه يشعر بتعاسة أهل بيته . .

لقد كان لى زميل عزيز وكنا مدرسين معا فى معهد واحد . . وكان دائما يشكو لى من أولاده ، وكيف أنهم لا يكفيهم

المصروف الذى يأخذونه ، وأنهم باستمرار يحتاجون إلى دروس خصوصية . . وأنه ينفق عليهم كذا وكذا . وعندما حان موعد إنصرافنا كان يمسك فى يده بمظروف أصفر . . قلت له ما هذا . . قال هذه بعض الأوراق والأقلام والأساتيك ليذاكر بها الأولاد فى البيت . . قلت أتعطيهم من هذه الأشياء ؟ . . قال نعم . . قلت له : إن أردت أن يكفيك دخلك ويستغنى أولادك عن الدروس الخصوصية فامتنع أنت عن أخذ هذه الأوراق والأقلام والأساتيك من عهدة المعهد . فنظر إلى وكأنه استكثر ما أقول . . ومضت عدة شهور وجاءنى مستبشرا . . وقال لى لقد توقفت عن أخذ ما كنت أستولى عليه من عهدة المعهد . . فامتنع كل ما ينغص على حياتى .

قد تكون هذه الأشياء التى نقترفها صغيرة وضئيلة لدرجة أننا لا نحس بها . . ولكنها فى الحقيقة أشياء كبيرة على حياتنا . فإذا كان هذا هو ما يحدث بسبب قلم رصاص أو رزمة ورق . . فما الذى يمكن أن يحدث فى حياة الناس بسبب مئات الألوف من الجنيهات ؟! انها تنقلب تماما . . تجد الأم فى ناحية يسلط الله عليها من صديقات السوء ما يدفعها إلى أشياء خطيرة تضر ببيتها وأولادها ، وتجد الأب فى ناحية وقد غرق فى مشاكل مهما كسب لا يكفى . . ينفق بلا حساب . . وتكون هذه النفقة عليهم وبالا وحسرة . . وإقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :



(من الآية ٣٦ سورة الأنفال)

وبالنسبة للأولاد فلن يكون الحرام إلا ضارا بهم وشؤما عليهم وهلاكا لهم .. تجد الإبن أو الإبنة وقد أدمن المخدرات وانطلق إلى الفساد .. لا يكفيه مال واحيانا يسرق .

ويتعجب الناس وهم يقرأون فى الصحف إن ابن الثرى فلان سرق وأن إبنة فلان ذاك إنحرفت .. نقول لهم لا تتعجبوا ولكن إسألوا أولا من أين جاء هذا الثرى بماله من حلال أم من حرام ؟ فإذا سألت وعرفت السبب ينتهى عجبك . بمجرد أن تعرف .. إن الله تبارك وتعالى يسلط على كل من يحصل على مال حرام من ينفقه له .. فمادام المال الحرام يأتى بلا تعب .. فإنه ينفق فيما لا يفيد ، أو فيما يضر ولا ينفع ، ثم لا يأتى لك إلا بالحسرة وما ينغص عليك حياتك .



عندما يكسب الأب حراما

بعض الأبناء والبنات يثيرون أزمات في البيت وسبب هذه الأزمات أنهم في قرارة أنفسهم يعتقدون أن الأب يكسب من حرام .. سواء أكان هذا الأب تاجرا أو موظفا .. فيقرر الابن أو الابنة ألا يتناول طعاما من مال أبيه .. ولمثل هؤلاء نقول انه ليس لك ولاية على أبيك ، وإنه لا إثم عليك مما يكسب ..

وفى الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أب أو زوج يحرص على الكسب الحرام : (شركم من ترك عياله بخير وأقبل على الله بشر) .

أى من جمع المال حلاله وحرامه وتركه لأولاده ثم جاء إلى الله بذنوبه وآثامه ليحاسب .. فلا هو تمتع بها فى الدنيا وحقق لنفسه لذة عاجلة .. ولا هو عَفَّ نفسه عن ارتكاب الحرام .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديثه الشريف :

(شَرُّكُمْ من باع دينه بدنياه وَأَشَرٌّ منه من باع دينه بدنيا غيره) .

أى أن شر الناس من باع دينه ليحقق لذة عاجلة فى الدنيا .. سواء كانت هذه اللذة مالا أو شهرة أو غير ذلك ..

لماذا ؟ . . لأنه باع نعيما مقيما بشهوة تستغرق زمنا قصيرا ! ولأنه باع خلودا فى الجنة بعمر محدود قصير فى الدنيا . . لا يساوى مهما كانت قيمته شيئا بالنسبة للآخرة . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾

(سورة الزمر)

إن الله يريد أن يلفتنا إلى أن الذين يعملون ما يشاءون فى الدنيا دون التزام بمنهج الله . . يخسرون أنفسهم يوم القيامة . كيف يخسرون أنفسهم وهم قد حققوا لها كل ما تريده فى الدنيا ؟ . . ونقول إن من يضحى بنعيم دائم مقابل شيء موقوت أيكون كاسبا ؟!

. . ولكن هناك من هو أشر من ذلك . . الذى باع دينه بدنيا غيره . . كيف يبيع الإنسان دينه بدنيا غيره ؟ . . بأن يتطوع لشهادة الزور لصالح أحد أصحاب النفوذ . . أو يكذب أو يظلم ليرضى رئيسا له . . أو يغضب الله ليرضى من يعتقد أنه ينفع ويضر ولا ضار إلا الله سبحانه وتعالى . . هذا هو الذى يبيع دينه بدنيا غيره . .

وهنا يأتينى دائما سؤال : هب أن إنسانا جمع مالا من حلال وحرام ثم مات . . هل يحاسب ورثته على آثامه إن ورثوا ماله وبعضه حرام ؟ . . وهل يجب عليهم إلا يقربوا هذا المال ؟ . .

نقول لا .. الذين يرثون هذا المال لا يحاسبون بذنوب صاحبه .. لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى .. ولذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المال هدية .

إذن فالمال الحرام قد يكون أكبر عددا .. وقد يقال عن صاحبه أنه يملك كذا وكذا ، ولكنه فى الحقيقة يَقْلِبُ البيت على أصحابه .. والله سبحانه وتعالى يجعله نكدا .

ولكن هل هناك فرق بين المال الحرام وبين السحت ؟

أولا ما هو السحت ؟ .. السحت هو الشيء الذى أخذته عن حركة غير مشروعة فى الحياة .. والسحت مثل الربا .. يأخذه الإنسان ليزيد به ماله ، ولكن الله يمحقه كما يمحق الربا . السحت هو ما تأخذه بالقوة أو بالقهر أو بالتهديد أو بأى طريق آخر غير مشروع كأن تذهب الى التاجر وأنت موظف مسئول .. تقول له سأغلق لك محلك إذا لم تدفع كذا .. هذه ليست رشوة ولكنها سحت ..

لقد أعطى أبو بكر وعمر بن الخطاب الى أحد صبيانهما درهما ليحضر لهما قدحا من اللبن . فذهب وأحضر قدح اللبن فشرباه ، ثم إذا بالصبى يعيد اليهما الدرهم .. فقالا له من أين جئت بهذا اللبن ؟ .. قال قلت للراعى إن أمير المؤمنين يريد قدحا من اللبن فأعطانيه .. فذعر أبو بكر وعمر وقال : ألا تعلم أن هذا سحت ، وكل سحت فى النار .. ثم أخذا يتقيآن عمدا .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به) .

إذن فالسحت هو ما تأتى به بطريق غير مشروع كأن تسرقه أو تأخذ الطعام وترفض أن تدفع الثمن ، أو تحصل عليه من صاحبه بالتهديد ، أو باستغلال السلطة أو بالوعيد أو بغير رضا النفس . .

. . ولكن ماذا يحدث إذا إختلط المال الحرام بالمال الحلال ؟ هل الحلال يظل حلالا بحيث تستطيع أن تقول أن هذا الجزء من المال الحلال ، وهذا الجزء من المال الحرام ؟ . . ونقول : إن المال الحرام إذا اختلط بالمال الحلال فسد الإثنان ، بحيث يصبح المال كله فى حكم الحرام . . تماما كما تضع حبة فاكهة معطوبة وسط حبات سليمة فإنها تفسدها . والذى يعرف حرمة المال ومدى تأثيره على نفسه وعلى أهل بيته . . لا يمكن أن يدخله بيته أو يطعم أولاده من المال الحرام أبدا . . لأن هذا المال لا يستتاب منه إلا إذا رُدَّ لأصحابه . فلا يكفى إذا أخذت مالاً حراما أن تقول إننى تبت إلى الله . . . بل لابد أن ترد المال لأصحابه أولا . . حتى ولو اختلط به حلال من عندك .



التوبة .. أن تعيد ما أخذت

بعض الناس يقول : أنا أسرق المليون جنيه الأولى ، ثم أتوب بعد ذلك وأعيش غنيا بقية عمرى بعد أن أكون قد تخلصت من الفقر وأعيش باقى حياتى مستريحًا !!

نقول لمن يفكر بمثل هذا التفكير السطحى .. لابد لكى تقبل توبتك أن تعيد أولا المال إلى أصحابه . فإذا قال هب أن صاحبه مات أو ذهب الى مكان لا أعرفه ، وبحثت عنه ولم أجده . فى هذه الحالة نقول تتصدق بهذا المال وتهبه لروح صاحبه .. أما ان تسرق مالا قل أو كثر ثم تتوب ، بينما أنت تعيش بمال حرام .. وتعتقد أن الله قد غفر لك .. !! فهذا هو الضلال بعينه ، ولا يمكن أن تكون جادًا ، فالشرط أن تعيده إليه .. فإن لم تعده فى الدنيا - فانك ستعيده فى الآخرة .. بل إنك تأتى فى الآخرة وأنت تحمله على كتفيك صغر هذا الشيء أو كبر ..

إن من سرق مالا وأقام به عمارة .. يأتى فى الآخرة ويحمل هذه العمارة على كتفيه .. ومن سرق مالا وبنى به مصنعا يأتى فى الآخرة يحمل هذا المصنع فوق كتفيه .. وتكون فضيحته أمام الدنيا كلها .. أمام خلق الله منذ عهد آدم إلى أن تقوم الساعة ويعرفون أنه سارق وأنه لص ..

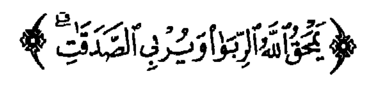
أكثر من ذلك فى ساعة الحساب يأتى أصحاب هذه الأموال يطالبون بحقوقهم ، فيأخذ الله سبحانه وتعالى من حسنات هذا الغاصب أو السارق . . ويعطيها لهم ليرد لهم حقوقهم . . فإذا إنتهت الحسنات أخذ الله تبارك وتعالى من سيئات أصحاب الحقوق . . ويضعها فوق سيئاته حتى يستوفوها ، ثم يعذب بها فى النار .

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : (أتدرون من المفلس ؟ قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال إن المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا . فيؤخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار) .

إن المال الحرام ليس متعة ولا نعمة فى الدنيا لأنه لا يجلب السعادة ولا يحقق الأمان . . ولكنه يبقى دينا عليه إلى يوم القيامة ليرد إلى أصحابه الحقيقيين .

بعض الناس يعتقد أن ظاهر الأشياء هو الحقيقة . . وهذا غير صحيح ، فكل شىء له ظاهر وباطن . . خذ مثلا السحت والربا والزكاة . . ظاهر الأشياء أن الزكاة نقص من المال لأنك تأخذ منه وتعطى الفقير والمحتاج . . فهو ينقص كل عام بواقع إثنين ونصف فى المائة هى قيمة زكاة المال . . معنى ذلك انك إذا كنت تأخذ الزكاة من مالك دون أن تحركه فى السوق . .

فإنه ينتهى خلال أربعين سنة . . بينما الربا والسحت يعتبر زيادة ظاهرة فى المال ولكن الله تبارك وتعالى يفصل فى الأمر بقوله تعالى :



(من الآية ٢٧٦ سورة البقرة)

لأن الصدقة وإن كانت فى ظاهرها نقص فى المال . . فهى فى حقيقتها بركة ونماء لهذا المال . . ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

(ما نقص مال من صدقة) .

أما الربا فإنه وإن كان زيادة من حيث الظاهر . . إلا أنه فى الواقع محق لهذه الزيادة ، بل ولأصل المال ذاته . . بما يسلطه الله عليه من الآفات التى تأكل المال . . كأن يمرض مرضا لا شفاء منه ويذهب إلى أوربا للعلاج فينفق عشرات الألوف ، ثم يقال له هناك طبيب فى أمريكا يستطيع أن يعالج هذا المرض فيسرع إليه . . فيقال له إن هناك مستشفى فى استراليا أو كندا فيسارع إليها ، وهكذا ينتقل من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان بلا فائدة . . إلى أن يقضى السفر والعلاج والدواء على المال . . ثم لا يشفى .

الحرام لا يأتى إلا بالشقاء

ولا جدال فى أن الحرام فى حياة الإنسان . . سواء أكان مالا أم غير ذلك إنما يورثه الشقاء . . فالله سبحانه وتعالى لا يترك الإنسان فى الدنيا يتمتع بمال حرام أبدا . . بل يضع فيه منغصات ونكد الحياة . . التى تجعل الإنسان يتمنى أن يذهب عنه هذا المال لتعود إليه الحياة الهادئة البسيطة التى كان ينعم بها قبل أن يتلوث بالمال الحرام . . ولذلك تجد الإنسان ينفق المال الحرام على الطعام فيصيبه الله بمرض ليجعله غير قادر على أن يضع لقمة واحدة فى فمه . . الطعام الذى يشتهيه يملأ بيته . . ويأتى غيره ويأكل أمامه بينما هو عاجز عن أن يضعه فى فمه . . وإن وضع لقمة منه فى فمه عانت معدته وأمعاؤه ألما رهيبا . . وينفق بغير وعى ليشفى ولكنه يظل يتألم . . . ولا يجنى من هذا المال إلا الحرمان والشقاء . . ولا يشعر إزاء هذا الإنفاق إلا بالحسرة !

وقبل أن انتقل إلى الفصل التالى . . أقول إننى أتلقى أسئلة كثيرة حول البنوك الإسلامية . . التى تستثمر أموالها طبقا للشريعة الإسلامية . . بعض الناس يقول إن هذه البنوك تستثمر أموالها فى الخارج بشكل يخالف الشريعة . ونقول لمن يسأل عن هذا : نحن لنا الظاهر ولا نطالب بالباطن . . إننى إذا تقدم لى إنسان يطلب مالا لله . . كحسنة . . وأعطيته هذا المال . . ولكنه ذهب وشرب به خمرا ، أو كان من مدمنى

المخدرات . . هل يحاسبنى الله على اننى يسرت لانسان أن يشرب الخمر أو يتعاطى المخدرات ؟ . . طبعا لن يُواخذنى . . ولكن تحتسب لى حسنة فى الآخرة وأجازى عليها خيرا . . لأننى وأنا أعطيه هذا المال لم يكن فى نيتى أن أيسر له طريق الإثم . . بل كان فى نيتى أن أساعده على الخير . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هجر إليه) .

أما بالنسبة للبنوك الإسلامية فمادامت قد أعلنت إنها تطبق الشريعة الإسلامية ونحن أودعنا أموالنا فيها على هذا الأساس . . فكل ما نأخذه حلال طبقا للشريعة الإسلامية - فإذا كانت هذه البنوك لها فى الخارج معاملات خاصة . . فإثمها على من يتعامل بها . . ولا إثم على المتعاملين مع البنوك الإسلامية .





الفصل الخامس



قضية السنة

القضية التى سنناقشها قضية هامة جدا
برزت هذه الأيام من خلال أبواق كثيرة
تحاول أن تفرض نفسها ظلماً على الساحة
الإسلامية ..لترضى اتجاهات معينة بدأت
تحاول أن تضرب على نغمة واحدة عن
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى
كلها تقول وبلا حياء .. إن السنة غير ملزمة للمسلمين ..
بمعنى أن من أخذ بها يثاب .. ومن تركها فلا يعاقب ..

إن هذا معناه أن ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم العمل بها لا يعتبر حراما .. أو بعبارة أوضح ليس حراما ..

ومما يؤسف له حقيقة أن بعض الأسماء المعروفة قد بدأت تؤيد هذا الاتجاه ، وعلى الساحة الإسلامية ظهرت تيارات تحاول إنكار السنة.وهدفها أن تنال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبداية نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد أخبرنا عن هذا الاتجاه قبل أن يأتى وقبل أن نعرفه .. فقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : فى شأن هؤلاء وقبل أن يظهروا بيننا ويروجوا أفكارهم المسمومة الضالة والمضلة :

(لا أَلْفَيَنَّ «أَجِدَنَّ» أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه) .

إن ظهور أمثال هؤلاء المجادلين فى السنة .. وقولهم بأن عدم الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبر حراما ولا نقصا فى الدين !! نقول لهؤلاء : إن ادعاءكم هذا لم يكن مفاجأة لنا ، إنما هو من معجزات النبوة التى أنبأتنا بما سيحدث قبل أن يحدث بعدة قرون ..

هؤلاء الناس طالبوا بأن نحتكم إلى القرآن الكريم ، ونحن نتفق معهم .. وسنحتكم معهم إلى القرآن الكريم .. لنرى من منا على حق ومن هو على باطل .. ماذا قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز .. قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

(سورة آل عمران)

وفى آية آخرى يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(سورة النساء)

ويقول سبحانه :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾

(سورة النساء)

ويقول الحق :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

(من الآية ٧ سورة الحشر)

ويقول جل جلاله :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾

(سورة النساء)

ويقول الحق تبارك وتعالى :

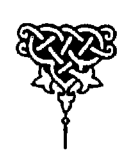
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾

(سورة المائدة)

هذه الآيات السابقة التى سنتحدث عنها هى من آيات القرآن الكريم التى يطلبون أن نحتكم إليه . . فماذا تقول هذه الآيات بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

الآية الأولى تقول : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .. هذه الآية الكريمة تلفتنا إلى أن طاعة الله وطاعة الرسول هى من منبع واحد هو : طاعة الله.والرسول صلى الله عليه وسلم مُبَلِّغ عن الله ، يحمل إلينا القرآن الذى يُوحَى إليه دون ما شهود من البشر .. أى بينه وبين جبريل عليه السلام .. ثم يأتى الرسول عليه الصلاة والسلام ليبلغنا بالقرآن كما أوحى إليه .. دون تغيير حرف واحد ..

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو الآية عندما تنزل عليه ، ثم يقرؤها فى الصلاة ، ثم يمليها لكتبة الوحى من الصحابة رضوان الله عليهم لتحفظ فى الصدور وتكتب فى السطور .. إذن فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى من طاعة الله .. لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يبلغنا ما يريده الله تبارك وتعالى منا .. فطاعتنا له وتصديقنا إياه فى كل ما يخبر عن الله .. هو طاعة لله .





خط الطاعة واحد

نأتى الى الآية الثانية التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :
« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » . .

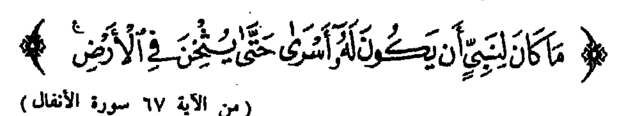
فى الآية الأولى كانت طاعة الرسول من طاعة الله سبحانه . . وفى هذه الآية الكريمة طاعة الرسول من أمر الله . . والله تبارك وتعالى أعطى الرسول هنا حق الطاعة ، وطلب من المؤمنين أن يطيعوه . فكأن هناك أشياء سيتم تشريعها من الله جل جلاله ، وأشياء سيتم استكمال تشريعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الله جل جلاله سيترك لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ الذى لا ينطق عن الهوى ـ حدودا معينة فى التشريع . . ولذلك طلب منا أن نطيعه . وتكفى هذه الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » . . لتلفتنا إلى أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة علينا بنص القرآن . . وأن كل من يقول غير ذلك يكذبه القرآن الذى قال صراحة : «وأطيعوا الرسول » . . ولم يضع حدودا لهذه الطاعة فى أشياء معينة . . وإنما تركها مطلقة . .

وعلى هذا فلا يقال إن من يترك السنة ولا يعمل بها لا يعاقب . . وان السنة بأحكامها غير ملزمة للمسلمين . . ونرد على هذا الادعاء وذلك الافتراء . . بأن كل حكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ملزم لنا بالطاعة . .

تصحيح الأحكام خير دليل

بعض الناس يحاول أن يثير هذه المسألة من حدود غريبة ليضع الشك فى قلوب المؤمنين فيقول : إن الله قد صحح لرسوله أحكاما كثيرة . . منها حكم أسرى بدر الذين كلفهم الرسول بتعليم المسلمين القراءة والكتابة أو من أخذ منهم الفدية . . فنزل قول الله سبحانه :



(من الآية ٦٧ سورة الأنفال)

وفى قضية التبنى أيضا حين تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فسماه زيد بن محمد . . ونزل قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

(الآية ٥ من سورة الأحزاب)

وغير ذلك من القضايا التى صحح الله سبحانه وتعالى أحكاما لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ونقول لمن يثير مثل هذه القضايا لهدم السنة : نعم عندما يصحح الله لرسوله بعض الأحكام يكون شرفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصحح له ربه . . إن هذا التصحيح فى حد ذاته هو تطمين لنا أن حكما لم يترك بلا تصحيح ، وأن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته محروستان بعناية السماء . . وأنه تم تصحيح كل ما أراد الله سبحانه وتعالى أن

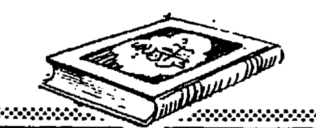
يقره . . وأصبحت كل أحكام السنة مقرة وانتهى عهد النبوة . .

إن ما يجب أن نتأكد منه فى السنة هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . أى لابد أن نتأكد من صحة الحديث ونستوثق منه . . هذه هى مهمتنا . . ومادام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقد صدق . . ومادام قد أمر فهو يطاع .

نأتى بعد ذلك إلى قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » . .

لقد ربط الله سبحانه وتعالى المنزلة العالية فى الآخرة ـ وهى الوصول الي منزلة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وهى أعلى المنازل فى الجنة ـ ربط الوصول إلى هذه المنزلة بطاعة الله والرسول . . ولم يقل الله سبحانه وتعالى من أطاع الله .وترك سنة الرسول فهو فى أعلى المراتب فى الجنة . . ولم يقل جل جلاله من أطاع ما جاء فى القرآن فهو فى أعلى المراتب فى الآخرة . . بل قال سبحانه : « من يطع الله ورسوله » . .

وهكذا ربط الله تبارك وتعالى بين طاعته وطاعة رسوله بأعلى منزلة فى الآخرة . . فكل من أراد أن يتبوأ هذه المنزلة العالية . لابد أن يطيع الرسول . وطاعة الرسول فى إتباع سنته صلى الله عليه وسلم .



الرسـول والتشـريع

نأتى بعد ذلك إلى قول الحق سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .. هذه الآية الكريمة تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق التشريع ، وهو ما لم يعطه لرسول قبله .. فقال لنا : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ..

لقد كان من مهام محمد صلى الله عليه وسلم أن يشرع لأمته ، وأن يضع لها من التشريع ما يضمن لها سلامة دينها ودنياها ، وما يقيها الفتن ، وما يجعلها قادرة على مواجهة متطلبات الحياة الدنيا الى قيام الساعة .. فهذا الدين جاء ليظل قائما مهيمنا على حركة الكون الى يوم القيامة .. والمسلمون مؤتمنون على منهج الله ..

إن تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب التنفيذ بحكم القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

ثم يجىء قول الله سبحانه : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » .. ليبين لنا الحق تبارك وتعالى إن طاعة الرسول هى من طاعة الله .. لم يقل جل جلاله من أطاع الرسول فهذا حسن ، أو من أطاع الرسول فقد استمسك بدينه .. إنما قال تعالى : «من يطع

الرسول فقد أطاع الله » . . فكيف يأتى بعد ذلك من يقول . . إذا لم تطع الرسول ولم تعمل بأحكام السنة فلا جرم عليك ولا معصية ولا تحاسب ؟!

إننا نقول لهؤلاء الذين يرددون هذا الكلام من أين جئتم به ؟ والله تعالى يقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ؟! ويقول : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » . . الله تبارك وتعالى يحذرنا فى هذه الآية الكريمة من عدم طاعته أو عدم طاعة رسوله . . ويحذرنا من أن الرسول عليه الصلاة والسلام مهمته أن يبلغنا وليس أن يجبرنا على الطاعة أو على الإيمان . . ومادمنا قد بلغنا . . فإن الحساب يصبح عدلا فى الآخرة . . لأننا بلغنا ولم نطع .

تلك هى بعض الآيات التى جاءت فى القرآن الكريم حول طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لكننى أريد أن أسأل هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام : إذا كان كلامكم صحيحا فى أننا لو تركنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نكون قد فعلنا حراماً نعاقب عليه . . نقول لهم علمونا كيف نصلى إذا تركنا السنة ؟! من أين نأتى بعدد ركعات كل صلاة ووقتها وهذا ليس موجودا فى القرآن الكريم وإنما أتت به السنة المطهرة .

الله سبحانه وتعالى شرع الصلاة بالتكليف المباشر لرسوله صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء والمعراج وليس بواسطة جبريل . . ثم نزل جبريل وعلم رسوله صلى الله عليه وسلم عدد ركعات كل صلاة ووقتها . . وجاء ذلك فى السنة الشريفة ولم يرد فى القرآن الكريم .

إذا كنا سنأخذ برأيكم بأننا لا ننفذ ولا نفعل إلا ما جاء وذكر فى القرآن الكريم . . فمن أين سنأتى بأن صلاة الصبح ركعتان والظهر أربع ركعات والعصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات والعشاء أربع ركعات . . من أين سنأتى بهذا ؟

أذكروا لى ما هى الآية التى نزلت فى القرآن الكريم لتدلنا على عدد ركعات كل صلاة حتى نتبع القرآن وحده ونترك السنة . . إننا إذا فعلنا ذلك وتركنا السنة ضاعت الصلاة . . والصلاة هى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين . . ومن ضيعها فقد ضيعه .

وبالنسبة للحج ومناسكه . . قولوا لنا كيف نحج ونطوف دون أن نفعل ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة الشريفة . . قولوا لنا كيف نزكى ؟ وكيف نحدد قيمة الزكاة وهى أمور لم تحدد فى القرآن الكريم وأوردتها السنة المطهرة . كيف كنا نعرف إنها اثنين ونصف فى المائة بالنسبة

للمال . . وكيف نعرف قيمتها بالنسبة للزروع والأنعام وعروض التجارة ؟ وكيف كنا نعرف كثيرا من أحكام هذا الدين التي وردت في القرآن الكريم مجملة . . ولم توضحها لنا إلا السنة الشريفة .

بل إن التطبيق العملي لمنهج الله كله قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فرسول الله هو القدوة لهذه الأمة . . وكل رسول يأتي بمنهج السماء أو كما يقولون المنهج النظري ثم يقوم بتطبيقه عمليا أمام من آمنوا به . . ليعرفوا كيف يطبقونه . . ولتكون هناك وحدة التطبيق . . فلا يفعل كل إنسان ما يعتقد أنه صواب . . فيتفرق الناس كل حسب هواه . .

إن الرسول المحكوم بمنهج السماء وبإله يصحح له ويهديه إلى ما يريد . . هو الذي يضع الاطار المحكم في تنفيذ منهج الله ، والمطلوب ممن آمنوا به واتبعوه أن يظلوا في هذا الاطار حتى لا ينحرفوا بالدين . . وهذا الاطار هو الذي يعدل حركة العبادة . . إذا حاول الناس الانحراف بها . .

فكيف -إذا كان هذا هو منهج الرسالات- يريدون منا أن ننحرف برسالة الإسلام عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون اذا تركتموها فهذا ليس حراما وليس عليكم عقاب . . إن الله سبحانه وتعالى قد أعطانا في القرآن الكريم من الآيات ما يجعلنا ندرك أهمية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذه السنة إذا تركت وأهملت انحرف الناس بالدين ، وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام هو القدوة لهذه

الأمة وقت نزول الرسالة وسيظل القدوة لها إلى أن تقوم الساعة . . والله جل جلاله يقول :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الأحزاب)

الله سبحانه وتعالى كان قادرا على أن ينزل المجمل الذى أورده فى القرآن الكريم مفصلا . . كان قادرا على أن ينزل عدد ركعات كل صلاة وكيفية أدائها مفصلا . . وكذلك الحج وكذلك الزكاة . . وأحكام الصلاة من ركعتى السهو وصلاة الاستخارة وصلاة الاستسقاء وغير ذلك . .

لقد كان من الممكن أن ينزل هذا كله كما نزلت كيفية صلاة الخوف التى تؤدى خلال الحروب وعدد ركعاتها ، لقد شاءت ارادته جل جلاله أن يترك ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل سنته واجبة الإتباع . . فأصبح ما لا نستطيع أن نعرف تفاصيله فى القرآن الكريم تأتى السنة الشريفة لتفسره لنا . . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى) .

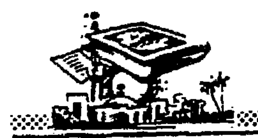
وإذا كان بعض الناس قد ذهب الى آخر الشوط فى إنكار السنة حتى إنه طالب بحذف التحيات من الصلاة بدعوى انها

سنة وليست فرضا ! وإذا كان عبث بعض الناس قد وصل إلى ذلك وهو بداية عبث لا يعلم إلا الله إلى أين كان سينتهى . .

إننا سنأخذ الدرجة الأقل التى تقول . . نحن لا نناقش الفروض . . بمعنى أن ما جاءت به السنة بالنسبة للفروض لابد أن نأخذ به ، ولكننا نناقش ما هو زيادة عن الفروض . . أى أننا نناقش صلاة السنة والصدقة غير المفروضة وقيام الليل والحث عليه وهو غير مفروض أيضا وغير ذلك من الأمور التى جاءت بها السنة دون الفرض . . من فعلها يثاب ومن تركها لا يعاقب ، كما يقولون !



المحبة فى الاتبـــاع



نقول بداية ان الذين يتخذون هذا السلوك .. يعلنون أنهم لا يحبون الله ولا يحبون لقاءه .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

(من الآية ٣١ سورة آل عمران)

فكأن الذين لا يتبعون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لا نقوم بها وليس عليها عقاب فلماذا نفعلها .. قد أعلنوا بادىء ذى بدء أنهم لا يحبون الله ، وبالتالى فالآية الكريمة تقول : « فاتبعونى يحببكم الله » .. وماداموا هم يأبون أن يتبعوا رسول الله فإن الله لا يحبهم ..

هذا هو حكم القرآن فيمن يقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفا شبه معاد قائلا : أنا لن أفعل شيئا من السنة ، ولا أريد ثوابها ، ولا أرتكب حراما بتركها . نقول له وهل تريد حراما أكثر من أن يبغضك الله ؟!

لماذا الافتراء على رسول الله

إن الذى لا يتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضال . . والذى يتمسك بها هو الذى يصل إلى درجات عالية . .

إننا نلاحظ أن محاولة العبث بهذا الدين تأتى دائما من ناحية السنة . . لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن الكريم بقدرته هو . . حفظه من العبث البشرى فقال جل جلاله :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(سورة الحجر)

إذا كان هذا الحفظ بالنسبة للقرآن الكريم . . فلن تستطيع يد بشرية أن تعبث به ، تزيد فيه كلمة أو تنقص منه كلمة . . لأنه محفوظ بقدرة خالقه . . ولذلك اتجهت كل القوى المعادية للإسلام تحاول أن تعبث بالسنة الشريفة . . فتدس فيها الأحاديث غير الصحيحة ، وتقف خلف أولئك الذين يقولون أن من ترك سنة رسول الله ولم يعمل بها لم يرتكب حراما ولا يعذب يوم القيامة .

لكن لمّا كانت السنة الشريفة محفوظة بقدرات البشر . . فإن بعض الناس يحاولون أن يخفوا بعض أحاديثها أو يضيفوا

إليها . . ولكن من فضل الله على المسلمين أن يتوافر المحققون من علماء المسلمين منذ قديم الزمان . . فى جمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وتخريجها والتأكد من صحتها حتى أصبح الآن هناك كتب موثقة للأحاديث النبوية الصحيحة مثل البخارى ومسلم . . هذه الكتب إن وجدت فيها الحديث النبوى إطمأن قلبك لصحة الحديث ، ومازال علماء الحديث حتى الآن فى العالم الإسلامى يقومون بجهود كبيرة لتبويب الأحاديث النبوية الشريفة . .

انى أريد أن أناقش ثلاثة أشياء من بين عشرات أو مئات الأشياء التى يقال إنك تستطيع أن تتركها من السنة دون أن تعاقب عليها وانها ليست واجبة عليك . . وأول هذه الأشياء صلاة السنة أو ركعات السنة التى تسبق وتلحق بالفروض . .

ولن ندخل فى جدل حول عددها . . ولكننا نقول إن هذه الصلاة رغبنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.لماذا ؟ لأنها تأتى فى الآخرة وتوضع فى الميزان . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر) .

تارك السنة .. يعاقب بترك الفرض

وأقول للذى يريد أن يتمسك بصلاة الفرض وحدها ولا يزيد عليها ركعة أقول له : اَضمِنَ أنه سيؤدى الصلاة المفروضة من ساعة التكليف إلى نهاية الأجل ؟ اضمن أنه لن يأتى عليه ظرف من الظروف يفوته ولو فرضا واحدا ؟

إذا كانت الحقيقة أن صلاة السنة توضع فى الميزان لتكمل صلاة الفرض . . فما الذى يجعلك تترك هذه الفرصة التى هى رحمة لك وتغلق على نفسك بابا من أبواب الرحمة فتحه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . . إنك إن فعلت ذلك تكون أقرب إلى النار . لأن أى هفوة فى صلاة الفرض تضيعها ، وصلاة السنة ثواب . ولكن هل معنى أنها ثواب فقط أن من تركها لا يعاقب؟

نقول إن من يتركها يعرض نفسه لعقاب شديد ، لأنه لا يصبح له رصيد يوضع فى الميزان ليجعل حسناته أكثر من سيئاته . . لقد ألقى بهذا الرصيد الذى كان يجب أن يتمسك به . . فحرم نفسه من رحمة كبيرة فى الآخرة .

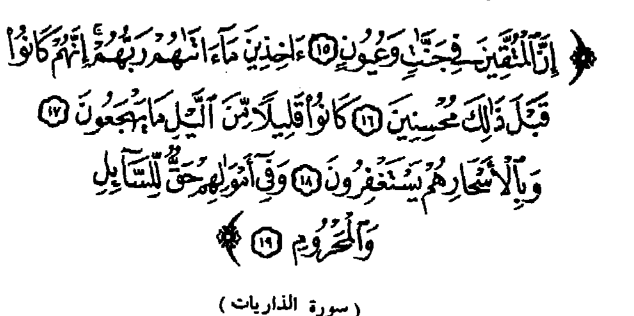
ثم لماذا لا تصلى السنة ؟ أتحب رسول الله أم لا تحبه ؟ إن كنت تحبه فإنك تسارع إلى سنته. وإن كنت لا تحبه . فالله لا يحبك . . لأن القرآن الكريم قال : « قل إن كنتم تحبون الله فإتبعونى يحببكم الله » .

نأتى بعد ذلك إلى الصدقة وهى غير الزكاة المفروضة . .
يقول تعالى :

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة المعارج)

الله سبحانه وتعالى تحدث هنا عن الزكاة . . وميزها بأنها « حق معلوم » أى محدد . ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم حثنا على الصدقة . . وهى الزكاة المفروضة ولكن ما زاد عنها يعتبر صدقة . . هذه الصدقة ليست واجبة بمعنى أن من يفعلها يثاب ومن لا يفعلها لا يعاقب . . فهل تركها القرآن الكريم لأنه ليس على تاركها ذنب ؟ لا . . بل حث القرآن عليها وطالب المؤمنين بها زيادة فى الأجر ووصولا إلى الدرجات العلا . . يقول الله تعالى :



(سورة الذاريات)

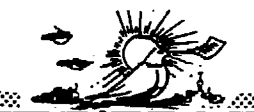
أقال الله تبارك وتعالى فى هذه الآية حق معلوم ؟ لا . . ولكنه ذكرها حق على إطلاقها كل حسب إيمانه وقدرته . .

إن هذه سنة تنطبق عليها الأوصاف التى يحاول بعض الناس إشاعتها من أنها إن تركت لا عقاب عليها . . ولكنها موجودة فى القرآن ومذكورة . . هل فى هذه الحالة نتركها ولا نعمل بها ؟!

وفى نفس الآية مذكور صلاة الليل . وصلاة الليل ليست فرضا من فعلها يثاب عليها ومن تركها لا يعاقب . . ولكن أنتركها ؟ أيكون هذا إيمانا وحبا لله ورسوله أن نأتى للفروض فنؤديها . . ثم يفتح لنا باب من أبواب الرحمة لنزداد ونزداد فى الدرجات فنغلقه . . إننا إن أغلقناه وقعنا فى الحرام . . لأنه بهذه الطريقة فإن أعمالنا لا يمكن أن تقودنا إلى الجنة . .

ومادمنا نعامل الله ورسوله بهذا الجفاء . . فنحن مطرودون من رحمة الله . . ثم كيف نواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ونحن محتاجون لشفاعته ولشربة من حوضه وأن يقودنا على الصراط إلى الجنة . . بينما نقف من سنته هذا الموقف المجافى لحبه صلى الله عليه وسلم ؟!

إن الذى لا يؤدى سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتساقط لحم وجهه خجلا عندما يرى رسول الله يوم القيامة . . فما بالك بأولئك الذين يدعون الناس إلى عدم إتباع السنة !



الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا ذلك فى صدر الإسلام وكان الدرس الأول فى غزوة أحد عندما أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام الرماة بأن يلزموا سفح الجبل - فلا ينزلون إلى الوادى سواء إنهزم المسلمون أو انتصروا . . وعندما بدأت المعركة وانهزم كفار قريش ورأى الرماة الغنائم على أرض المعركة . . طمعوا فيها فغادروا سفح الجبل . . فأنزل الله عليهم الهزيمة ودار الكفار حول الجبل وهاجموهم من الخلف . .

لو أن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نفهم أننا عندما لا نطيع رسول الله ولا نعمل بسنته فإننا لن نرتكب مخالفة ولن نرتكب حراما لو كان الأمر كذلك لانتصر المسلمون فى هذه الموقعة . . ولعرف المسلمون - وقتها - أنهم إن أطاعوا رسول الله أو خالفوه . . فلا إثم عليهم . . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد للمسلمين - كل المسلمين - منذ بداية الرسالة وحتى يوم القيامة أن يفهموا أن مخالفتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليهم عقاب السماء وهزيمة من الله . . حيث تتخلى عنهم الله ورعايته . .

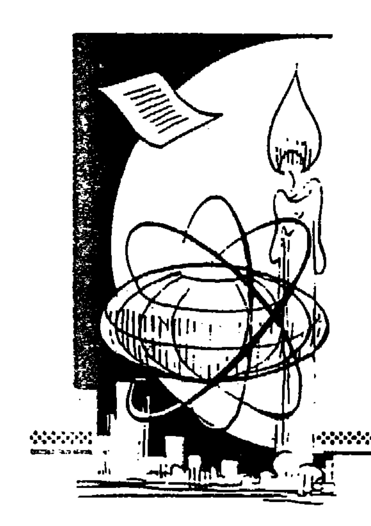
لقد كانت هزيمة أحد درسا إيمانيا ليعلم المسلمون جميعا إن الله جل جلاله يغضب على من يخالف أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم .

إذا كانت هذه المخالفة الواحدة . . أوقعت غضب الله على المسلمين وأذاقتهم ذل الهزيمة . . فما بالك بكل أحكام السنة المطهرة ؟ وكيف يأتى الله سبحانه وتعالى بقدوة تطبق منهجه . . ثم يأتى من يقول لا تعملوا بها . . أو يقول من تركها لا إثم عليه . . ولا يدخل فى الحرام ولا يعاقب . .

وهكذا نرى أن كل من يقولون اتركوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه آثم ، ولسانه آثم ، ومطرود من رحمة الله ومحروم من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . جزاءً لحضه الناس على الابتعاد عن طاعة الله وعن منهج الله وسنة رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه .



الفصل السادس



الحياة العصرية بين الحلال والحرام

الناس تعتقد أن الحياة مع الحلال صعبة ، وأن المجتمعات الآن فى هذه الظروف التى انتشرت فيها الفتن لا يمكن أن تعيش حلالا ، لأنها ستصطدم بمئات العقبات، ستصطدم بنظام السلفيات من البنوك، وبنظام التقسيط الذى يشترى به الملايين . . وستصطدم بنظام تمليك الشقق ، وستصطدم بنظام قضاء المصالح الذى يقتضى أن تدفع نوعا من الاكراميات .

كل هذا وغيره يصور للناس صعوبة الإنتقال بالنظام من الحرام أو شبهة الحرام إلى الحلال . . إن المسألة أبسط كثيرا من ذلك . . هناك أشياء جرى عليها العرف وتطبق وهى حرام . . مثل مستأجر الأراضى الزراعية الذى يشترط للسماح للمالك بالبيع أن يأخذ نصف الثمن .

وبداية لابد أن نفهم أنه كما قلنا أن الكسب الحلال فيه بركة تجعله يعطى أكثر مما يتوقع منه . . إنك فى كثير من الأحيان تقابل موظفا مرتبه لا يتجاوز مائة جنيه وعنده أولاد ، ومع ذلك تجده يحيا حياة طيبة لا ينقصه شيء مما يشتهيه ، وإن كان ما يشتهيه هو القليل . . ولو انك جئت بأبرع وزراء المالية فى العالم ليعدوا ميزانية لهذا الموظف ما استطاعوا . .

إن البركة التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى ماله تُذهب عنه الكثير . فإبنه مثلا يتقاضى مصروفا صغيرا لا ينفقه بل يكيفه ويزيد . . وتجد أن الله سبحانه وتعالى قد سخر له من أصدقائه

وجيرانه من يعطى أولاده دروسا خصوصية مجانا ، وتجد أنه إن تعذر عليه ركوب المواصلات يصادفه أحد معارفه يمر عليه بالسيارة فجأة ليأخذه معه . .

تيسيرات لا أنت ولا أنا ولا أى إنسان يعلم سرها . . ولكنها تحدث وبأقدار غريبة مرتبة صنعتها يد قادرة . . قبل أن يأتى البلاء يأتى له ما يكفيه . . فلا تحدث له فضيحة أبدا . . ومن الذى يرتب له هذا ؟ . . إن الله تبارك وتعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين أبدا . . بل إن له مددا لا يعرفه أحد . . ولا يدرى عنه إنسان شيئا . . وإقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة فصلت)

إن الإنسان المؤمن لا يأخذ بالأسباب وحدها . . ولا تهزه أسباب الدنيا . . ذلك أنه يعلم إنه إن تخلت عنه الأسباب فمعه رب الأسباب الذى سيوجد له من كل ضيق فرجا . ومن هنا فلا تنظر للانسان المؤمن الذى يعيش حلالا وتحاول أن تحسب له حساباته بعيدا عن الله . . لأنه هو نفسه لا يحسبها بعيدا عن الله . . كل شىء يكفيه . . كل شىء يبارك الله له فيه .

على أننا إذا أردنا أن نناقش أسلوب الحياة العصرية . . وما يدخلها من حرام . . كيف نستطيع أن نخلص المجتمع من هذا كله . . فإن هناك طرقا كثيرة وميسرة . . أول الأشياء هو مسألة التقسيط . . ذلك النظام الذى يضطر الملايين للتعامل بالربا حتى يحصلوا على ما يحتاجونه . . ولكن المسألة فى منتهى البساطة . . فلنضع سعرين للسلعة . . سعر إذا دفعت فورا . . وسعر إذا دفعت خلال عام أو عامين . . ونحذف عملية الفوائد تماما . . ونترك لكل إنسان أن يختار النظام الذى يناسبه . . هذا النظام يمكن تطبيقه بسهولة. ولكن البنوك وهى التى تقرض الشركات لا تعترف بهذه المسألة لأنها تريد نظاما يحسب بسعر الفائدة ويرتفع معها . . ولا ينخفض إذا انخفضت . . وفى هذا بلا شك نوع من الربا الذى حرمه الإسلام .

وكما يحدث لسعر السلعة بالتقسيط . . يحدث أيضا بالنسبة لسعر الشقق . . هذه الشقة محدد ثمنها بمبلغ كذا إذا إشتريت فورا . . وبمبلغ كذا إذا تم شراؤها على خمس سنوات أو عشر سنوات أو أكثر من ذلك. . على أن يدفع كل عام مبلغ محدد ثابت . . وفى هذه الحالة نكون قد خرجنا من دائرة التعامل بالربا . .

إن هذا ليست هى الطريقة الوحيدة . . فهناك طرق كثيرة لتحديد سعر السلعة إسلاميا ـ سواء كان هذا سيتم بالنسبة للدفع على آجال قصيرة أو طويلة ، وكلها تعطيك شراء حلالا وربحا حلالا . . أما مسألة فوائد البنوك فأعتقد أن نظم البنوك

الإسلامية فيها الحل .. وهى تعمل وناجحة وفيها ودائع كثيرة .. ويمكن لأى إنسان أن يتعامل معها وهو مطمئن النفس ، لأنه مهما قيل بالنسبة لهذه البنوك .. فمادمت تضع أموالك فيها مبتغيا النظام الإسلامى فلا إثم عليك .

نأتى بعد ذلك إلى مشكلة أخرى .. وهى مشكلة قضاء الناس لمصالحهم .. لا تذهب إلى مكان إلا ولابد أن تدفع مقابل إنجاز عمل معين .. بعض الناس يقول إنها هدية ، وبعض الناس يقول إنها صدقة .. لأن المرتبات فى الحكومة منخفضة جدا .. وبعض صغار الموظفين يأخذون أجرا لا يكفيهم .

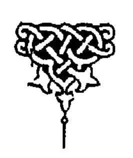
الذين يقولون أنها هدية .. نقول لهم .. إنها ليست كذلك لأنه لو جلس الموظف فى بيته لا تأتيه.ولكن السائد الآن أنها رشوة لحق .. بمعنى أن لى حقا فى مكان ما .. تمت ترقيتى إلى درجة أعلى ، وصدر القرار وتم توقيعه واعتماده .. ولكن الموظف المسئول عن التنفيذ .. أخذ يماطل فى تسليمى القرار لأنه يريد شيئا .. فى هذه الحالة حلال لى أن أدفع له ، وحرام عليه أن يأخذ .. لأننى أريد أن أصل إلى حقى ، وهذه الرشوة هى التى ستوصلنى إلى الحق .. ولذلك لا حرمة على معطيها .. إنما الحرمة على آخذها .

فئات المجتمع والكسب الحلال

أما الذين يقولون أنهم يعتبرون كل ما يدفعونه لبعض صغار الموظفين حلال . . نقول لهم نعم هو حلال بشرط أن تدفعوه دون أن تكلفوهم بعمل أو قضاء مصلحة . والذين يعملون هم ثلاث فئات : فئة تحدد أجر عملها بنفسها . . فأنت إذا جئت بنجار ليصنع لك دولابا مثلا . . هو يحدد قيمة عمله بنفسه ، وإذا أحضرت عامل قيشانى ليكسو لك حوائط الحمام يقول لك أن المتر يساوى كذا فتدفعه له . . هو الذى حدد . . أنت لم تحدد . . وحسب الأجر الذى حدده أعطيته . . ذلك لا يحتاج لأى نوع من الدعم أو تخفيض الأسعار . . لأنه يحدد أجره حسب ما يريد . . كان فى الماضى يحدد تغيير جلدة الحنفية بقرش صاغ وأصبح يغيرها بخمسة وعشرين قرشا ثم بجنيه . . وهكذا كلما ارتفعت أسعار المعيشة إرتفع أجره .

ولكن هناك فئتان لا يملكان تحديد أجرهما عن العمل ولا دخلهما الذى يعيشان منه . . أولهما موظف الحكومة المحكوم بقوانين ولوائح ودرجات . . وقد تأتيهم علاوات استثنائية ولكنها ليست على المستوى المطلوب . . أما القسم الثانى فإيراداتهم محكومة بقوانين قد تكون ظالمة . . مثل قانون ايجارات المساكن القديمة . . الناس الذين كانوا يعيشون من إيجارات عمارات يملكونها منذ سنوات طويلة . . كيف يعيشون بهذه الايجارات الضئيلة الآن ؟ كان المفروض أن ترتفع دخول

هؤلاء الملاك ولو على مستوى الموظفين .. بحيث إذا كان مرتب الموظف منذ سنوات عشرين جنيها وكان إيراد العمارة فى ذلك الوقت عشرين جنيها .. فإن هذا الايجار يرتفع ولو بنسبة زيادة أجر الموظف .. وهؤلاء الملاك مظلومون .. وكذلك ملاك الأراضى الزراعية المؤجرة الذين يعيشون من ريع هذه الأرض .. هؤلاء أيضا مظلومون .. لأن ايجارات الأرض الزراعية فى الماضى كانت مناسبة لتكاليف المعيشة ولكن الآن مالك الأرض المؤجرة بقانون ايجار الأراضى الزراعية لا يأخذ حقه ، هؤلاء هم المظلومون لأن كل واحد منهم غيره هو الذى يقدر أجره .. فدخله مرتبط بشىء ثابت لا يزيد .





إيجار الأرض والحرام

وأحب أن أقول بهذه المناسبة أن مستأجر الأرض الزراعية الذى يحصل على نصف ثمنها مقابل تركها لصاحبها أو عند بيعها . . هذا حرام لاشك فى ذلك . . وكون أن الدولة قد قامت بتقنين هذا الإجراء . . فإن هذا التقنين لا يسبغ عليه ثوب الشرعية . . فالحاكم لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا . . الذى يحلل أو الذى يُحَرِّمُ هو الله وحده .

أما بالنسبة لاقتراض الأفراد من البنوك . . وهذا النوع من التعامل لا تقوم به البنوك الإسلامية . . إنها تقرض من أجل مشروعات فقط . . ولكن هناك من البنوك من يقرض بفوائد مخفضة . . وأعتقد أننا لو أنشأنا مؤسسة للاقراض بدون فوائد . . فإننا سنجد كثيرا من أهل الخير يساهمون فيها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ فَرَّجَ كُرْبةً عن مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللهُ كُرْبَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة)

ولذلك فإن أهل الخير يمكن أن يودعوا أموالهم هذه المؤسسة بلا فائدة ويتم الإقراض منها . . على أن تتحمل الدولة المصاريف الإدارية لمثل هذه المؤسسة . . وأعتقد أننا سنجد الكثيرين ممن يقبلون على هذه المؤسسة بأموالهم إبتغاء ثواب الله ومرضاته

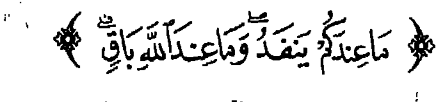
ومادمنا بصدد الحديث عن الحلال والحرام .. يجب أن نلتفت إلى مباريات سباق الخيل التى تقام فى مصر .. تحت إسم الخير ! ولسنا ندرى كيف يتم عمل محرم من الله سبحانه وتعالى باسم الخير .. إنهم يقولون إن عشرين فى المائة أو أكثر من إيراد المراهنات يذهب للخير .. وأنه يتم الإنفاق منه على عدة جمعيات خيرية. ونقول لهؤلاء الذين يحاولون أن يلبسوا علينا ديننا من الذى أخبركم أن الله سبحانه وتعالى يريد عونا منكم على الخير فى كونه؟ إن الله جل جلاله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة التوبة)

هذه الآية الكريمة نزلت .. عندما منع الله سبحانه وتعالى المشركين أن يحجو إلى بيته الحرام .. وكان هذا المنع معناه حرمان أهل مكة من رواج إقتصادى كان يحدث فى موسم الحج .. عندما يجىء المشركون بأموالهم وتجارتهم .. فيشترون ويبيعون ويحدثون رواجا إقتصاديا كبيرا .. فلما نزلت الآية الكريمة .. لم يغب عن علم الله تبارك وتعالى أن أول ما سيدور فى عقول أهل مكة .. هو : وماذا عن تجارتنا ؟ .. وماذا عن رواجنا الإقتصادى ؟ .. وكيف سنعيش .. فكان الرد هو قوله سبحانه الله وتعالى فى نفس الآية هو : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم » .. أى إن خفتم فقرا فلله خزائن السموات والأرض يعطى منها ما يشاء لمن يشاء .

الله طيب .. لا يقبل إلا طيبا

ولكن هل الله سبحانه وتعالى ـ الذى عنده خزائن السموات والأرض ـ محتاج جل جلاله لأن تعينه على الخير بأمر محرم شرعا وهو القهار .. بحيث نسمح به لنمول الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية ؟! والله تبارك وتعالى فى كونه لا يحتاج لأحد .. ولا إلى معونة أحد .. ولا يقبل من عباده إلا ما كان طيبا وطاهرا يقول الحق تبارك وتعالى :



(من الآية ٩٦ سورة النحل)

إننا يجب أن نفطن إلى محاولات تلبيس إبليس وأعوانه ، إنهم يريدون أن يفسدوا علينا ديننا فيأتون إلينا من طريق عمل الخير .. بعد أن يئسوا من اغوائنا عن طريق آخر .. ولكن المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ .. لا تنطلى عليه الألاعيب الشيطانية .

وهناك من يتساءل: هل الإنسان الذى يأتى يوم القيامة وبصحيفته ذنوب اقترفها فى الدنيا ولم يتب عنها يدخل الجنة ؟ نقول إننا يجب أن نلتفت الى قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾

(سورة القارعة)

إن هذا يبين لنا إن الحساب يوم القيامة له كفتان . . كفة الحسنات وكفة السيئات . . وأن كل أعمال الإنسان توزن ، فإن رجحت كفة حسناته دخل الجنة . . وإن رجحت كفة سيئاته دخل النار .



الحسنات .. يذهبن السيئات

يلاحظ هنا أن الله سبحانه وتعالى قد جاء بحالتين فقط بالنسبة للميزان .. الحالة الأولى هى أن كفة الحسنات قد رجحت .. والحالة الثانية هى أن كفة السيئات قد رجحت .. ولكن الله جل جلاله لم يأت فى هذه الآية .. بالحالة التى تتساوى فيها الكفتان .. كفة الحسنات وكفة السيئات .. هؤلاء الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم .. هم أهل الأعراف .. الذين يقفون بين الجنة والنار .. لا هم يدخلون الجنة فَيُنَعَّمُون .. ولا هم يدخلون النار فيعذبون ويظلون كذلك حتى يشملهم الله برحمته ويدخلون الجنة .. ويقول الله سبحانه وتعالى عنهم :

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

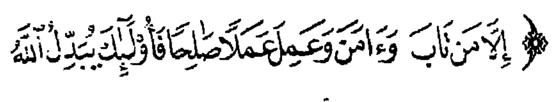
(سورة الأعراف)

الذين على الأعراف .. هم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم .. هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

والله سبحانه وتعالى شرع التوبة . . لأنه فى علمه أن هناك من سيخطىء ويتوب . . إذن فيوم القيامة وحين يحاسب الناس لا يتم الحساب على أساس إن أعمالهم كلها حسنات . . ولكن لابد أن عملا قليلا كان حراما وذنبا وإثما . . حين يوضع الميزان . . الحسنات تزيد على السيئات فيدخل الإنسان الجنة . . ومادام هناك ميزان فهناك حسنة وهناك سيئة . . لأن للميزان كفتان مفروض أن تثقل إحداهما أو أن يتساويا .

والله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه . . هذا بالنسبة للذى لم يتب . . ولكن الذى تاب وكلما ذكر السيئة ندم عليها . . الله سبحانه وتعالى يقول :



﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾

(سورة الفرقان)

إن فضل الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين أن كل من يندم على سيئة فعلها . . يبدل الله له هذه السيئة حسنة ، وأن كل من هَمَّ بسيئة ولم يفعلها ابتغاء مرضاة الله تكتب له حسنة . . وكل من هم بحسنة ولم يفعلها تكتب له حسنة أيضا . . لأنه يكفى أن يعيش الإنسان وفى خاطره وقلبه الله . . ولكن لا يقال أنه لن يدخل الجنة من يرتكب حراما فى حياته.ونقول وما فائدة التوبة ولماذا شُرِّعَتْ إذن ؟! المهم أن تزيد حسناته على سيئاته . . وبذلك ترجح كفة الحسنات فى الميزان . .

ولكن . . هل تتفاوت الحسنات وتتعاظم السيئات على الفعل الواحد ؟

وهل تتعاظم الذنوب على الإثم الواحد ؟ بمعنى هل يتساوى فى الذنب الشاب غير المحصن الذى لم يسبق له الزواج . . بالرجل المحصن ؟! أو بالكهل الفانى . . يقول الله سبحانه وتعالى فى حديث قدسى :

(أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد . أحب الغنى الكريم ولكن حبى للفقير الكريم أشد . . وأحب الفقير المتواضع والغنى المتواضع أشد . . وأحب الشيخ الطائع والشاب الطائع أشد . . وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد أكره الفقير البخيل والغنى البخيل أشد . وأكره الغنى المتكبر والفقير المتكبر أشد . وأكره الشاب الفاسق والشيخ الفاسق أشد) .

الحق سبحانه وتعالى فى هذا الحديث القدسى . . يخبرنا عن حبه لثلاثة ، وثلاثة حبه لهم أشد . . وعن كرهه لثلاثة وكرهه لثلاثة أشد . . لماذا ؟

لأن الاقبال على الحلال فى بعض الحالات يكون متعبا وفى حالات أخرى يكون أشد تعبا . . والاقبال على الحرام فى بعض الأحيان يكون له شىء من المبررات التى تشفع فى الذنب . . كأن يكون الشاب غير متزوج وغير قادر على الزواج . . القوة والفتوة تشعل رغبته فى الجنس فتجعله يخطىء مرة أو يضعف مرة . . ولكن الشيخ الذى بلغ أرذل العمر كان

أحرى به أن يعرف انه اقترب من لقاء الله . . فيتوب ويستعد لهذا اللقاء . . فى الغالب يكون قد تزوج ومارسه فى الحلال وأطفأ الرغبة . . فيكون غضب الله عليه أشد . .

الله يحب الغنى الكريم والفقير الكريم أشد . . الاثنان إتصفا بصفة الكرم . . ولكن الغنى يستطيع أن يكون كريما على غيره . . وفى نفس الوقت لا يعانى فى حياته . . ولكن الفقير الكريم تكون معاناته أكثر . . لأنه لا يملك شيئا فكأنه يفضل الناس على نفسه . .

والحق يقول أحب الفقير المتواضع ، وحبى للغنى المتواضع أشد . لأن الفقير يفرض عليه فقره التواضع ، أما الغنى فعنده أسباب الكبر من مال وغير ذلك . . فإذا لم يتكبر كان أقرب إلى طاعة الله سبحانه وتعالى . .

ثم يقول الحق جل جلاله وأحب الشيخ الطائع وحبى للشاب الطائع أشد . . والمعروف ان الإنسان كلما كبرت سنه أحس بقرب لقائه لله . . وفى هذه الحالة لابد أن يأخذ بالطاعة لأنه لا يدرى إذا وضع رأسه على الوسادة هل سيقوم فى اليوم التالى أم لا . . ولكن الشاب ـ رغم أن الموت لا يعرف شابا ولا شيخا ـ سيعيش بالأمل سنوات طويلة . . فإذا ألزم نفسه بالطاعة يكون أكثر ثوابا . . لأنه رغم فتوته وإغراءات الحياة من حوله ترك شهواته وأقبل على الله وهذا هو سبب التفضيل فى الحب . .

أما بالنسبة للكره ـ والعياذ بالله ـ فإن الله يكره الفقير البخيل

وكرهه للغنى البخيل أشد . لأن الفقير إن كان بخيلا فلأنه لا يملك . . أما الغنى فهو يملك ويستطيع أن ينفق ، فإذا بخل كان كره الله له أشد . .

ويكره الله الغنى المتكبر لكن كرهه للفقير المتكبر أشد . لأن الغنى عنده من أسباب الكبر المال وغير ذلك ، فإذا تكبر تكون قد أخذته أسباب الدنيا . . أما الفقير فإنه إن تكبر يكون الكبر من قلبه ومن ذاته . . والله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى :

(العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف : (لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر) .
والله سبحانه وتعالى يكره الشاب الفاسق . . ولكن كرهه للشيخ الفاسق أشد . .

وحتى لا يكون هناك مجال للشباب للانحراف ، وحتى لا يضيع الشباب أفضل سنوات حياته فى المعصية والبعد عن الله ، فقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب فى الزواج فقال :

(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ) :

ولكن الشاب قد يضعف . . أما الشيخ فإن اقباله على الإثم يعنى إن الانحراف متأصل فى نفسه . . إذن فهناك منازل لحب الله تبارك وتعالى وكرهه .

الرياضة .. والغناء وفوازير رمضان

على أننا قبل أن ننهى هذا الكتاب لابد أن نتحدث عن شيئين يسألوننى عنهما دائما . . أولهما عن الرياضة والثانى عن الغناء . . فى مرة دعيت لمشاهدة حفل رياضى فى احدى المدارس . . رأيت الأولاد يؤدون حركاتهم الرياضية وهم يرتدون البنطلونات . . بينما الفتيات يرتدين زى الفراشة وسيقانهم مكشوفة !! وسألت المسئول عن الحفل : هل الرياضة التى تؤديها الفتيات لا تصلح إلا بالملابس القصيرة التى تكشف عن الساقين . . فقال لى ماذا تعنى ؟ قلت له : إننى أرى أن هناك بناتا وبنين يؤدون نفس الحركات الرياضية . . البنين يلبسون البنطلونات ، والبنات يلبسن زى الفراشة القصير . . بأى زى تؤدّى الرياضة ؟ إن كانت لا تنفع إلا بالبنطلون فلماذا لم ترتدى الفتيات البنطلون . . وإن كانت لا تنفع إلا بالزى القصير كان لابد للأولاد أن يلبسوا الشورت . . فارتبك ولم يجب . .

والسؤال الآن لماذا تكشف الفتيات عن السيقان ولا يرتدين الزى الطويل مثل الأولاد ؟ ما هو المنطق ـ إذا كنا نتحدث عن الحرام والحلال ـ فى تعرية سيقان البنات وتغطية سيقان الأولاد ؟!

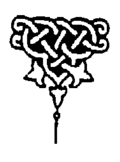
والسؤال الثانى عن قضية الغناء وهل هو حلال أم حرام ؟ كل الذين يتحدثون معى يريدون أن يحللوها . . وأقول إن هناك فرقا بين مَنْ سَمِعَ وَمَنْ تَسَمَّعْ . . فمن سمع دون قصد فلا إثم عليه . . أما من جلس عامدا متعمدا يتسمع فهذا يحاسب . .

رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أباح فى المناسبات ومنها الأعياد والأفراح ضرب الدف والغناء . . وعندما اعترض أبو بكر الصديق رضى الله عنه على مغنية كانت تجلس عند السيدة عائشة فى يوم العيد . . قال صلى الله عليه وسلم (دعهن يا أبا بكر فإننا فى يوم عيد) . .

إن الغناء المحتشم فى المناسبات جائز . . ولكن يجب أن نتنبه إلى أن الغناء فيه نص وفيه أداء . . قد يكون النص محرما من أوله وإن لم يغن . . إننا نعرف أكثر من نص حرام كلماته حرام . . ولنفرض أن النص سليم . . ولكن يتم أداؤه بتثن وميوعه لا دخل للغناء فيه ؟ إنه يخرج الغناء عن معناه . . وعن مضمونه . . وينقله إلى الحرام حتى وإن كان قد أحل فى بعض المناسبات . .

خذ مثلا فوازير رمضان . . هذه الفوازير أصلها امتحان للعقول فى أمر من الأمور إذن هى رياضة عقلية . . بالله عليك ما دخل الحركات والرقصات الخليعة التى تحدث فى كل فزورة المفروض أنها تخاطب العقول ؟!

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون قد وفقنى فيما قلت . . وأن يوفقنى دائما لخدمة دينه وإعلاء كلمته . . وأن ييسر للناس العلم الذى يقيهم الحرام ويعرفهم الحلال . . إن الله سميع مجيب الدعاء . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم . .



الفهرست

الفصل السادس

صدر من

مكتبة الشعراوى الاسلامية

الكتاب القادم : الرزق

وكلاء التوزيع بالخارج

السعودية : تهامة للتوزيع
شارع الملك فهد خلف اسواق النويصر

الأردن : شركة وكالة التوزيع الاردنية
عمان - الأردن

المغرب : الشركة الشريفة للتوزيع والصحف (سوشبرس)
الدار البيضاء - المغرب

اليمن : محلات القائد التجارية
باب مشرف ص. ب ٣٠٨٤

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات
ص. ب ٦٥٨٨

القدس : يوسف رحيل
ص. ب ١٩٠٩٨

أبو ظبى : دار المسيرة
شارع السلام منطقة النعمان السياحى - ابو ظبى

الدوحة.قطر: دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ٦٣٣

دبـــى : دار الحكمة
ص. ب ٢٠٧



رقم الايداع ٣٠٩٠ / ١٩٩١
الترقيم الدولى I. S. B. N.
977 - 08 - 0109 - 7



مكتبة الشعراوى الإسلامية

مكتبة تتوارثها الأجيال

هذا الكتاب

عزيزى القارىء : بتوفيق من الله وعونه .. وافق فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى . أن تتولى « مؤسسة أخبار اليوم » بالتعاون مع فضيلته فى إنشاء « مكتبة الشعراوى الاسلامية » ..

وهذا العمل المبارك - عزيزى القارىء - يختلف عن كل ما نشر من خواطر فضيلته حول القرآن الكريم فى الصحف والمجلات ، على كثرتها .

لقد اعتاد الإمام الشعراوى أن تكون اجاباته على اسئلة السائلين على قدر السؤال ، وأما عن خواطره .. فكان الحديث بقدر ما تتطلبه الآية من تفسير .

أما هذه المكتبة - عزيزى القارىء - فتتناول القضايا الدينية كموضوع متكامل .. تشرح أبعاده .. توضح الحكمة منه .. تجلى ما صعب فهمه ، ترد على الاباطيل والافتراءات التى تثار بين وقت وآخر حول الدين الاسلامى الحنيف .

لقد تم - بحمد الله - الاعداد لأربعة وعشرين كتابا ، تشكل فى مجموعها مكتبة اسلامية فريدة .. سوف تصدر - ان شاء الله - متتابعة عن مؤسستك « أخبار اليوم » ..

إن كل كتاب منها سيتناول موضوعا مستقلا لا غنى لكل مسلم عن
الرزق .. الحج المبرور .. الحساب .. الجنة والنار .. التوبة
الحسنى (٣ أجزاء) .. زوجات الرسول .. ليلة القدر ..
وعليك - عزيزى القارىء - أن تتأكد - وأنت تنشىء مكتبتك
الغلاف الخارجى لهذه الكتب يحمل عنوان « مكتبة الشعراوى